رواية

حفيدة إليكترا

تأليف

إسراء موسى

السعيد
للنشر والتوزيع

اسم الكتاب / حفيدة إليكترا - رواية

الكاتبة / إسراء موسى

الطبعة الأولى 2019

المراجعة اللغوية : الميلود عرنيبة

تصميم الغلاف : محمد محسن

رقم الإيداع : 2019/19238

الترقيم الدولي: 978-977-6727-48-9

التصنيف : رواية

الناشر : السعيد للنشر والتوزيع

المدير : لميـــاء السعيـــــد

برج الهادي – الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر

01550096215 - 0222017260

elsaidpublisher@gmail.com

المقدمة

«لقد وصلت... لقد وصلت!!» قالها الرجل العجوز، كان الانتصار يكسو نبرة صوته؛ فهو الآن يقف على جبل أركوبولوس في أثينا باليونان.

نظر إلى المبنى أمامه، كان مصنوعا من الرخام مع أفريز من الحجر الجيري الأسود؛ لم يكن هذا المكان سوى «معبد أرخثيون».

كان القمر محاقيا في تلك الليلة، وقف أمام المعبد ثم بدأ بالصياح: أيها المحراب العظيم، يا أرض، أيها البطل لقد جئت إليك!

استدار ليجد الغجرية المسنة، تقف في دلال، اقتربت منه: أخرجت من حقيبتها القديمة: قلادة ذهبية، ثم قامت بفتحها، كانت تحوي القلادة اثنتي عشرة ورقة «كل ورقة هي واحد من الأولمبيون الإثني عشر وهم الآلهة الكبرى في مجموعة الآلهة الإغريقية. تضم هذه الأوراق كلًا من زيوس وهيرا وبوسيدون وديميتر وأثينا وأبولو وأرتميس وآريز وأفروديت وهيفيستوس وهرمس وديونيسوس».

كاد العجوز يخشى عليه من السعادة، ولكن قبل أن يمسك القلادة، نظرت إليه الغجرية بغضب: احذر أن تقع تلك القلادة في اليد الخاطئة، فكل ورقة تستعدي الإله الخاص بها، لا تحاول إثارة غضبهم.

بداية اللغز:

يأتي الاتصال الهاتفي من مصر إلى مركز الحمض النووي بأثينا. الاتصال من صيدلي شاب ذي أصول يونانية يدعى «نقفور» يريد أن يتعقب أثر بنت عمه «أدراستيا» وجده الرجل المسن. ويعتقد بأنهما توفيا أثناء رحلتهما في السفينة من أثينا إلى جزيرة «إيجينا»، وهو يريد التأكد من الأمر ليتمكن من القيام بالترتيبات اللازمة ومن إعادة جثتيهما إلى الوطن.

وتتلقى «ليندسي كانليس»، الرئيسة الجديدة لخدمة علم الجريمة في اليونان، هذا الاتصال. وهي لا تقوم بفحص الجثث، ولكن من واجبها التأكد من إبلاغ العائلات بمصير أهلهم والتأكد من وجودهم على قيد الحياة من عدمه.

ولقد أشرفت وحدها تقريباً على خدمة تحليل الحمض النووي في البلاد منذ إنشائها والتي أصبحت وسيلة أساسية لآلاف الأشخاص الذين يحاولون تعقب أثر العائلات الذين فقدوا في الرحلات البحرية في اليونان.

وعلى الرغـم من أن «ليندسـي» معتـادة على مثل تلـك البلاغات، إلا أن هـذا البـلاغ تحديـدا أشـعرها بالذعـر، المكالمـة التـي دارت بينها وبين نقفور كانت مليئة بالصياح والتحذير.

«يـا سـيد نقفـور، أرجـو أن تهـدأ؛ مـن واجبنـا هنـا البحـث وفور التوصل لأي نتائج سنقوم بإبلاغك على الفور».

«يـا سـيدتي، أرجـو أن تفهمينـي أنـت، أعلـم جيـدا كـم الجهـد المبـذول لإيجـاد عائلتي؛ ولكـن ما يهمنـي هو تلـك القـلادة الأثرية المفقـودة أكثـر مـن إيجـاد أجسـادهم الباليـة أيضـا، ولأن إيجادهـا مرهـون بالعثـور عليهـم فلذلـك أبديـت إهتمامـي بالبحـث عنهـم؛ سأسـافر فـي طائـرة الغـد القادمـة لأثينـا علـى الفـور، وأتمنـى أن تنتظريني في المطار وتساعديني لنبحث عنهم بطريقتنا الخاصة».

لـم تكن تفهم مـا يعينـه وماذا يقصـد بتلك القـلادة الأثريـة، أنهت المكالمـة معـه. وعلـى الفـور احتضنـت جهاز الـلاب تـوب محاولة البحـث عـن الآثـار المفقـودة أو التـي سـرقت مؤخـرا فـي اليونـان. ولكنها لم تصل إلى نتيجة تخص تلك القلادة!

انتظـرت اليـوم التالـي حتـى تقابـل نقفـور هـذا، وتسـأله عـن المقصود من وراء كلامه.

بمجـرد رؤيتـه لدينسـي طلـب منهـا أن تتبعـه علـى الفـور، قـام بإيقـاف إحـدى السـيارات، وطلـب من سـائقها الذهـاب إلـى نافبليو «العاصمة القديمة لليونان قبل أثينا».

نظرت «ليندسي» إلى نقفور بحيرة، قاطعتها بلهجتها اليونانية القوية بكلمة: παλαβός palavós «بالافوس»!.

تلك الكلمة التي تعني «مجنون»، ثم أكملت حديثها «نافبليو تبعد عن أثينا بحوالي 130 كم، وتلك هي المرة الأولى التي أراك فيها أيها المخبول، وتريدني أن أقطع معك تلك المسافة لمجرد إدعائك بوجود قلادة أثرية، جدك وبنت عمك قد تم فقد الاتصال معهم في أثناء رحلتهم البحرية؛ فمن المفترض أن تبحث عنهم في مسار رحلتهم بالجزر؛ «لا أن تذهب إلى مدينة لا علاقة لها بوجهتهم الأخيرة».

نظر إليها بقلق ثم قال:

أرسلت أدراستيا رسالة تقول فيها أنها ليست باليونان، مع أن الموقع الخاص بها كان ظاهرا في أعلى الرسالة وهو نافبليو!

وصلنا المدينة بعد حوالي ساعتين، تمشينا قليلا حتى دخلنا إلى هذا الحي القديم «كان يبدو مهجورا»، شعرت حينها بالخوف من نقفور، وتساءلت بيني وبين نفسي: «هل تلك إحدى الحيل من أعدائي للإيقاع بي أو ربما قتلي».

لاحظ «نقفور» هذا القلق الذي يكسو وجهي، فاستدار قائلا: «يمكنك إرسال موقعك الحالي إلى أصدقائك إذا كنت لا تشعرين بالأمان معي».

طمئنتني الجملة على الرغم من أنني قد فعلت ذلك قبلها، منذ ركوبي معه تقريبا.

صعدنا معا إحدى العمارات، حتى وصلنا إلى الطابق الثامن. العمارة قديمة، لا يسكنها أحد، يزين كل طابق لوحة مرسومة لأحد إلهة الأوليمبوس الأثنا عشر بالإضافة إلى تمثال ضخم بالجوار، والطابق الذي كنا فيه يحمل معالم الإله «آريز».

شعرت بالخوف والقشعريرة تسري في أنحاء جسدي، فآريز هو رمز الهلاك والخراب واللعنة والشقاء». وفي الميثولوجيا الإغريقية كان «آيرز» إله الدمار والانتقام.

دخلنا معا إلى الشقة، تحسس نقفور الحائط حتى وجد لوحة الكهرباء وقام بإضاءة المنزل.

«يا إلهي ما هذا! إنها كالمتحف! المركبة الحربية القديمة ذات العجلتين» والتي تخص الإله آريز في الأساطير، قفص كبير يحوي كلابا حية كانت تقدم كقرابين لعبادة هذا الإله قديما.

نقفور! هل مازال أحد العقلاء حتى الآن يعبد إلهة الأليمبوس الأسطورية!

للأسف يوجد الكثيرون ممن يفعلون هذا، ولكن لا أحد يعبر عن ميوله الحقيقية في الأمر، لن تطول رحلتنا هنا، فقط ابحثي معي عن أمرين: القلادة ودفتر من حوالي مئة صفحة إنه

لأدراستيا، فمن عادتها تسجيل يومياتها، أنا واثق أنها جاءت هنا مع جدي قبل أن يختفوا.

بدأنا بالفعل في رحلة البحث، ورائحة أزهار الكادابول تنتشر في المكان! لاحظت أمامي قطعة قماش كبيرة سوداء اللون، وعلى الرغم من خوفي الشديد إلا أنني اقتربت منها وبسرعة انتزعتها، لأجد أمامي ثلاثة توابيت، لم أتمالك نفسي من الصراخ، جرى نقفور ناحيتي بسرعة، وقف بجواري يحاول فهم ما يراه حتى تجرأ وقام بفتح التوابيت الثلاثة: التابوت الأول يحوي فتاة عشرينية جميلة، لم تكن تلك الفتاة سوى بنت عمه «أدراستيا»، التابوت الثاني كان يحوي جده النائم بعمق، أما الثالث فعبارة عن تمثال صغير من الإله «زيوس» مع وجود دفتر ملون يبدو وكأنه دفتر يوميات؛ «إنهم على قيد الحياة» صاح نقفور بتعجب!

***

الفصل الأول

Νεράιδα

على مسرح الجامعة تقف فتاة عشرينية ذات شعر ماهوجوني، يتصف جلدها باللون الأبيض الباهت. لديها عيون مشرقة مع رموش داكنة متعرجة.

ترتدي ملابس قديمة تعود إلى العصور القديمة في أوربا فهي ترتدي رداءًا أزرق غامقًا وكأنها خرجت لتوها من المحيط. يظهر حول خصرها حزام ذهبي ساحر، يعطر الهواء برائحة البلسم والقرفة.

كانت تزين أذنيها المثقوبتين بزهور حمراء وتضع تاجا على رأسها.

الجميع يتابع المشهد في صمت وتركيز، جلست الفتاة على خشبة المسرح وقالت بصوت هادئ:

«الموت، يستطيع الإنسان أن يتخلص من كل الأسى والعناء بطعنة واحدة من خنجر في يده؛ الموت نوم نوم ثم لا شئ لا شئ.

نوم نستريح فيه من آلام القلب ومن آلاف الأمراض.

نخاف الموت مع أنه الجدير بأن نتمناه؛ الموت رقاد رقاد.. ولكن قد تكون به أحلام هذه هي المشكلة.. إنه الخوف من تلك الأحلام التي تتخلل رقاد الموت». تحولت عيناها إلى الجانب مرة أخرى وأصبحت مزججة بطبقة زجاجية من الدموع، صفق الجميع لها بانبهار واضح بينما كتمت الفتاة فمها بإحكام في محاولة لإخفاء أي صوت أراد الفرار منها؛ غرق قلب الموجودين معها.

كان هذا مشهد الموت من مسرحية هاملت لوليم شكسبير؛ على الرغم من أن البطل في المسرحية هو رجل وليس امرأة إلا أن الفتاة أصرت على تأدية دور هاملت وأمام جمالها وافق زملاؤها على التنازل لها.

دخلت الفتاة بعدها مرحاض الجامعة ووقفت أمام المرآة تحدق في نفسها وتحدثت

لقد أسمتني أمي أدراستيا نسبة إلى حورية الدردار التي كانت تحمي الإله «زيوس»، أنا فتاة من أصول يونانية ولكنني فقدت أهلي عندما كنت طفلة في الثامنة، أخذني جدي لأعيش معه بمصر.

كان جدي كاتبا مشهورا ألف العديد من الكتب عن علم الأساطير والميثولوجيا الإغريقية القديمة، ومن شدة تأثره بتلك الحضارة اختار اسم «إسكندر» لوالدي.

قابل «إسكندر» امرأة جميلة في اليونان تدعى يوليا فتزوجا وأنجباني.

ورثت ملامح والدتي؛ ساعدتني تلك الملامح في الحصول على كل ما أتمناه.

فهذا الوجه البريء يستطيع امتلاك قلوب من حوله في أقل من دقائق، إنه كالسحر يجعلني أحرك البشر كدمى الماريونت في المسرح.

أدرس بكلية الصيدلة في إحدى الجامعات الخاصة؛ أمضيت وقتي بين كتب العقاقير والسموم حتى بلغت شخصيتي قدرا من الشر يشبه «هانيبال ليكتر».

أسكن في شقة كبيرة مع جدي في إحدى عمارات حي «الزمالك»، بالإضافة إلى قصر كبير يقع في الريف المصري.

أحب الذهاب إلى هناك كل فترة لأتخلص من ضوضاء المدينة؛ التي تمتص جميع الأكسجين الموجود في الغلاف الجوي بتلوثها.

أجيد العزف على القيثارة وبارعة أيضا في الشطرنج.

بعد انتهائي من يومي الدراسي الممل عدت أخيرا لشقتي، إنها لا تشبه المنازل المعتادة؛ فبمجرد دخولك تشعر وكأنك دخلت متحف الأكروبوليس اليوناني، عشرات اللوحات الفنية التي تزين الجدران السوداء الكئيبة.

في الجانب يوجد بيانو أقام عليه العنكبوت منازله؛ لست مهتمة بالعزف على البيانو بقدر حبي للعزف على آلة القيثارة.

تماثيل الآلهة موجودة في كل جانب وجميعها من نحت والدي وجدي.

من بين جميع اللوحات أحب التوقف عند لوحة «ليلث»، فكثيرا ما يشبّهني جدي بتلك المرأة.

الصورة التي رسمها الفنان دانتي غابرييل روزيتي بشكل معاصر، استنادا إلى الأسطورة التي تقول إن «ليليث هي أخت آدم التوأم، وكانت تعيش معه في جنات عدن، وكانت تريد أن تشاركه في حكم الجنة، واتصفت بالحكمة، إلا أن آدم لم يمنحها سلطة الحكم، لذلك ضاقت ذرعا بآدم الأقل منها ذكاء وحكمة»، بحسب الأسطورة.

وتحكي الأسطورة أنه «بعد أن خرجت ليليث من الجنة، تعلمت المزيد من الحكمة من إله النور، وعاشت ملكة الليل، إذ كانت تدعو السمار للرقص والمرح حتى غياب ضوء القمر، وأصبحت ليليث رمزا للنساء المعتدات بأنفسهن، والرافضات لاستبداد الرجل».

وكذلك كنت أنا، لا فرق بيني وبين «ليلث».

على الرغم من مساحة المنزل الواسعة إلا أنه لا يحوي إلا ثلاثة غرف: غرفتي، غرفة نوم جدي، غرفة المكتبة والتي تحوي آلاف الكتب جميعها مكتوب باللغة اليونانية واللاتينية القديمة.

دخلت «أدراستيا» إلى غرفتها وألقت بجسدها على السرير بعد أن أشعلت الشموع.

العديد من الكتب المبعثرة على الأرض والتى تحمل شعار كلية الصيدلة، وعلى المكتب يوجد كوب قهوة انسكب منه القليل على صفحات كتاب العقاقير، يقطع هذا الظلام لهب الشمعة الذى يتراقص بدلال، اللون البنفسجي الغامق يملأ المكان لون الجدران، لون المكتبة التى تحمل مئات الكتب، لون حقيبتها وأيضا لون الملابس التى ترتديها، هذا اللون الذى يذكرنا بأشرار أفلام ديزنى، شريط حبوب منومة موضوع على سطح المكتب يساعدها على مواجهة الأرق الذي يحاربها.

كانت العيون الصفراء التي تليق بقطعة ساحرة تحدق في أدراستيا النائمة. مالت بجسدها الصغير الأسود على رأس أدراستيا، على هذا النحو يكاد المشهد أن يمتزج مع كآبة الليل. ثم سمحت بسلسلة من النغمات المنخفضة، وقبل فتح الأجنحة الكبيرة والمستديرة، كان الصوت الوحيد أثناء الطيران هو الضرب الإيقاعي للهواء، وبمجرد ارتفاعه، تم حمله بعيدًا، وهو هادئ جدًا لدرجة عدم انتباه أدراستيا له.

اقتربت بمنقارها من رجل أدراستيا وظلت تداعبها؛ أضاءت الأباجورة ونظرت إلى هذا الكائن الصغير الواقف على رجليها لم تستطع أن تتمالك نفسها من الغضب ولكن أمام هدوء البومة ضحكت لها بصوت عالي.

سامحيني أيتها البومة منيرفا، لم أستطع سرقة الفأر من قسم «الفارما» فاسمحي لي أن أقدم لكِ وجبة السمك اليوم.

عندما كانت أدراستيا طفلة كانت تمتلك الكثير من الدمى على هيئة بومة؛ كانت متأثرة بإلهة أثينا التي نرمز إليها بالبومة، وكانت تلح كثيرا على جدها أن يشتري لها واحدة وعلى الرغم من أنها لم تكن معجبة بنوع البومة التي تمتلك عيونا تشبه الثعبان إلا أنها لم تجد نوعها المفضل في مصر فقبلت بتلك وظلت معها تربيها وتؤنس وحدتها.

كانت ليلة الخميس، الموعد الذي تخشاه أدراستيا؛ لأن والدتها تزورها في المنام.

ولكنها قررت، أن ترحب بها في المرة القادمة، أن تقف بكل قوتها للتصدي لها.

عندما أغمض عيني، يتلاشى كل العالم ويسدل ستار الظلام. هناك سلام غريب في هذا الظلام؛ هذا الصمت والهدوء يأخذان خلايا ذهني للراحة من كل الفوضى اليومية. أتمنى الانجراف في عالم الأحلام الهادئة، ولكني بدلاً من ذلك أغير محطتي إلى جزيرة الكوابيس. هذا هو المكان الذي يتمثل فيه ماضي «منزلي في آغيوس ديمتريوس». أعاني من ندائي لعقلي الباطن، لأطلب منه الانتقال إلى بُعد آخر. يصبح الهواء المحيط بي نحيفًا حتى يصبح التنفس مستحيلًا تقريبًا.

في ظلام الحلم، يستحضر العقل الكائنات السحرية؛ والتي كان يناديها اللاوعي «منذ أن كنا صغارا». تلك الوحوش التي كانت تسكن أسفل سريري «والتي أتيقن أنها ليست سوى أوهام، ولكنها مع ذلك تخيفني

تلك الهيئة المروعة التي تأتيني فيها، هذة المرة كان جلدها شريرًا، مثل اللحاء الموجود على أشجار الغابات.

ويحتوي شعرها على العديد من الحشرات. شفتاها كانتا كبيرتين وسوداوين، لم أكن أستطيع أن أميز عينيها؛ بسبب تلك القبعة الكبيرة التي تضعها فوق رأسها، إنها تشبه الساحرة الشريرة في مجلات الأطفال؛ ولكن الفارق أنها لا تمتلك تلك المقشة السحرية.

طلبت من أني أن أتبعها، وصلنا إلى غرفة في الطابق العلوي. في زاوية الغرفة ذات العمر الطويل، كان هناك مجرد كرسي بسيط، كان يحمل عليه مجموعة من الملابس، التي تم نسجها في الماضي مع قدر من الحب، ممزقة، وشوَّهت من كل جمالها بالتعفن والقذارة. منقوشة، بنفسجية وصفراء الآن مصبوغة بألوان مختلفة، أمسكت الأم بأحد الفساتين الفقيرة وطبقتها الصفراء السابقة قد تقشرت، طلبت من أدراستيا أن ترتدي الفستان فورا؛ رفضت ذلك في كل مرة تهديها شيئا في الحلم، تصاب بعدها بالجنون عندما تستيقظ.

ولكن الأم أجبرتها على ارتدائه.

ثم خرجت من الغرفة، تبعتها للخارج حتى وصلتا إلى حديقة المنزل، هنا طلبت منها أن تحفر الأرض باستخدام أظافرها «امتثلت لأوامرها بضعف»، كانت الأرض لينة بفضل امتزاجها بقطرات المطر.

شعرت أنها أمسكت شيئا بدا كأنه طفل في فضلات الأوراق المتجمدة. ولكن عندما لمسته بأطراف أصابعها، شعرت بطبقة تشبه إبريق الشاي «لقد كانت ببساطة، دميتها القديمة».

كان وجه الدمية قديمًا ومشقوعًا بالديدان التي تتسرب من الفم، كأنه عبارة عن آلة زمنية صغيرة، أو ربما نافذة على عصور أخرى. سقطت من الدمية، قلادة عتيقة قلبتها أدراستيا مرارًا وتكرارًا، عيناها مسحورتان بجمال تلك القلادة. عاد عقلها إلى قرون مضت، في أحد الأيام صمم شخص ما هذا الحب في قلبه، فكيف يمكن أن يكون جميلًا جدًا؟، على الرغم من اتساخها، إلا أنها تيقنت من أن القلادة لا يمكن أن تكون قمامة أبدًا، فقد كانت مثل لمس التاريخ، النقوش القديمة المتروكة عليها، والتي ذكرتها بحضارة اليونان القديمة.

التفتت إلى والدتها، وجدتها قد عادت إلى هيئتها الطبيعية والهادئة «أخبرتها بهدوء»: ابحثي عن القلادة في غرفة جدك، إنها طريق الخلاص.

استيقظت بعدها، وتلك الكلمات يتكرر صداها في رأسي.

عيني توجه نفسها إلى عقارب الساعة، غير قادرة على قراءة الأرقام الضبابية، ولكن بعد ذلك فركت عيني الساعة الرابعة صباحًا فقط.

جلست لتناول الفطور مع جدي والذي لاحظ شرودي، ثم قطع الصمت بيننا بالحديث عن والدتي، لم تكن والدتك سوى امرأة ملحدة، أعلم زيارتها المتكررة في أحلامك وتلك الهيئة المروعة التي تزورك بها في كل مرة؛ ولكن تعاملي معها كما تعامل «أوديسوس» مع غناء حوريات البحر.

الحوريات اللواتي كن يغرين البحارة بغنائهن فينتهي بهم الأمر إلى تحطم سفنهم على الصخور والضياع إلى الأبد.

ليتفادى أوديسوس هذا، أمر أفراد طاقم سفينته بسد آذانهم وتكتيفه على أحد حوامل الأشرعه بحبال؛ حتى تجعله لا يتمكن من الخلاص إلى أن تعبر السفينة منطقة الحوريات سالمة.

وفعلا نجا بسبب عدم تمكنه من فك الحبال والخضوع لسحر غناء الحوريات المضلل والذي أودى ببحارة كثيرين قبله.

والدتك تحاول استدراجك إلى خطتها الشريرة، ستستمر بمحاولات إخافتها لك، لقد تركت تلك المرأة اليهودية والمسيحية وكذلك الإسلام، لتذهب وتقوم بعبادة إلهة الأوليمبوس.

لقد كانت تريد من الناس أن يشاركوها في عبادتهم، وهي تعلم أنهم ليسوا على هذا القدر من الغباء.

قامت في البداية بكتابة منشوراتها التي تدعو فيها الناس إلى الإلحاد، ومن الإلحاد تزين لهم عبادة تلك الأساطير.

وبعد موتها، يبدو أنها اكتشفت هذا العالم المزيف الذي لا وجود له، ربما تلك المخلوقات ليست سوى إنعكاسا لمخبول من الذين يستخدمون السحر!

ولكن بعد الموت، يكتشف الإنسان أنه أمام إله واحد فقط وهو الله!

لا تنصتي إليها يا أدراستيا!

***

الفصل الثاني

Νοσταλγία

نوستالجيا

كانت أدراستيا تشاهد أحد الأفلام الكلاسيكية اليونانية، وجاء مشهد رقصة الزوربا الشهيرة.

اشتاقت إلى تلك الرقصة اليونانية، التى كانت تؤديها مع زميلاتها بالمدرسة فى طفولتها، لم تجد من يشاركها تلك الرقصة منذ قدومها إلى مصر باستثناء إحدى المرات فى مدرسة الراهبات، عندما علمتها لزميلاتها بالصف.

خرجت لشرفة المنزل وظلت تحدق فى البيوت النائمة، يقطع هذا الصمت الشبيه بالمقابر الضوضاء القادمة من الشقة المقابلة لشرفتها، شقة «ميراندا» زميلتها في الجامعة، تلك الشقة متلألئة الأضواء فى تلك الساعة المتأخرة، كانت تصل إليها أصوات الضحك بوضوح مخترقة قلبها قبل أذنيها، رغبت فى أن تبدل ملابسها وتهرول إلى تلك الشقة السعيدة؛ لتطرق عليهم الباب وتتوسل إليهم أن تدخل ولربما تعدهم بأن لا تصدر أى صوت، تبا لوحدتها وتبا لشقائها.

ألـح عليهـا ذلـك الحنيـن لموطنهـا، اتصلت بابـن عمهـا «نقفور» وطلبـت منـه الحضـور فـى الحـال، فلقـد شـعرت برغبـة ملحـة بأن تقضى سهرة على الطريقة اليونانية.

تفاجـأت عند قـدوم نقفور، بأنـه جلب معـه العديد مـن الأصدقاء اليونانين الذين يعيشون بمصر.

شـعرت بسـعادة غامرة بقدومهم، وتذكـرت أن عليهـا التوقف عن القلـق والبـدء بالاسـتمتاع فهـي ذات العشـرين عامـا، ثـم حدثـت نفسها بتلك الكلمات التى قرأتها فى أحدى الروايات اليونانية:

«إن فـي جسـدك روحـاً، ويجـب أن تشـفق عليهـا، أعطهـا شـيئاً لتأكله أيها الرئيس، فإذا لم تطعمها تركتك في نصف الطريق».

جلـس نقفـور علـى البيانـو الموضـوع فـى إحـدى زوايـا المنزل، والذي كان قد اشتراه الجد من إيطاليا.

صاحت بسعادة قائلة له: هيا يا «فريدريك شوبان» القادم.

بـدأ نقفـور بعـزف أحـد الترانيـم اليونانيـة والتـى كانـت فـى فيلم "Jesus of Nazareth"، وقامـت بغنائهـا «آريانـا» إحـدى ضيـوف أدراسـتيا، تلـك الفتـاة ذات الصـوت السـاحر، والتـى اسـتاطعت أن تجذب انتباه جميع من كانوا بالسهرة:

«تذكرت أمس عندما كنت أسير ببطء

تمشيت فى الجوار فى المدينة المتجمدة

لم تأخذنى الأوقات بل فى النهاية قلت وداعا

تركت كل الأسواق التى يهرول إليها الجميع
هناك طرق أخرى للفرح لا يمكن تخيلها
مثلما تخبرني جدتي، أن لا أحد سيرشدك لهذه الطرق
وهناك طرق تشرق بأولئك الذين يسيرون فيها بتواضع
برفقة الملائكة يتبادلون أحاديث الليل.
فى الأضواء تعطش ولا تجد ما يرويك.
قلبك يظل عطشان ومحتاج لمن يداويه.
فى العالم سرت بين التلال
اخترت أن أسير فى الطرق الضيقة».

لـم تتمالك أدراسـتيا نفسـها فسـقطت بعـض الدمـوع مـن عنيها، متأثرة بالألحـان وبكلمات تلـك الترنيمـة، ذكرتها بالأيـام التى كانت تسافر فيها إلى كريت.

جلـس جميـع مـن فـى الحفـل علـى الأرض مكونيـن حلقـة علـى شـكل دائـرة، وبـدأوا فـى سـرد تفاصيـل حكايتهـم والظـروف التـى اضطرتهـم إلى العيـش بمصر، ثم بـدأت «أسـيليا» تحكي عـن معاناتها مـن التحـرش اللفظـى فـى المواصـلات المصريـة، قائلـة أنها سـتتجه فى الفتـرة القادمـة إلى الرهبنـه بأحـد الأديرة التـى كانت تتـردد عليها، احتج نقفـور علـى قرارها مفسـرا أن الأمر صعـب للغايـة، وطلب منها الانتظار؛ حتى تتأكد من إمكانية عودتها إلى اليونان من عدمها.

التفت نقفور إلى أدراستيا، وقال لها بحزن:

ميسون، انتحرت.

لم تبد أي رد فعل، ونظرت في وجوه الموجودين بحيرة.

«أيها الموت، أيها القبطان العجوز، حان الوقت الآن، فلنرفع المرساة؛ هذا البلد يبعث فينا السأم. أيها الموت فلنبحر».

قالتها أدراستيا وهي تقف أمام البحر بجوار نقفور، لم يلتفت إليها كما أن ملامح وجهه في تلك اللحظة كانت تشبه التمثال أو جثة مقتولة، وبعد مرور وقت ليس بكثير تحدث نقفور قائلا: «تعالَ وأسرعْ أيّها الموت، تعالَ وأسرعْ، ولُفَّني بأغصان السّروِ الحزين.

جهّزوا كفني الأبيض، ورصّعوه بأعواد الطقسوس، واذهبي بعيداً أيتها الأنفاس، بعيداً اذهبي.

إنّه حظي من الموت، ولن يشاركني فيه أحد».

أغمضت أدراستيا عينيها محاولة التذكر، أين سمعت تلك الكلمات الحزينة!؟ ثم فتحتها وهي تشعر بالنصر وقالت بصوت عال «وليم شكسبير، الإقتباس ده كان في رواية لأجاثا كريستي؛ من الواضح أنك لسه بتقرأ ليها زي متعودنا واحنا صغار».

«كانت أيام حلوة يا أدراستيا، فاكرة لما كانت مامتك بتجب لنا القصص بتاعتها مترجمة عربي ويوناني عشان مكناش بنعرف نقرأها بالأنجلش. كانت أيام جميلة بجد».

«شجرة السرو الحزينة» قالتها أدراستيا بصوت منخفض ثم تذكرت قصة انتحار ميسون.

تفتكري ميسون انتحرت!؟ ولا في قصة بين السطور تانية «قالها نقفور فجأة كنوع من المزاح» لم ترد عليه ولكن اكتفت بنظرة منها وكأنها تطالبه بالصمت ولكن على طريقتها الخاصة.

«ميسون بتفكرني بقصة الداليا السوداء، الممثلة الشابة» أليزابيث شورت «فاكرة القصة دي؟»

«الحقيقة لا، مسمعتش عنها قبل كده».

«كانت «الداليا السوداء» إليزابيث شورت ممثلة طموحة عاشت فترة صعبة في حياتها فقررت تلجأ للتمثيل على أساس هيجبلها فلوس.

في 15 يناير 1947، كانت واحدة ماسكة بنتها وماشية فلقت جثة إليزابيث كانت مشوهة بشكل فظيع، مرمية على العشب في حي سكني في لوس أنجلوس، لو فتحتي جوجل هتلاقي صورة لجسمها وهو مقسوم نصين بالظبط

كمان شالوا أمعاءها، كانت في علامات على أربطة رسغها، وكان في أجزاء من جسمها متشالة خالص، واتعمل تجفيف لجسمها بالكامل من الدم.

الجزء الأسوأ هو وشها. القاتل عمل فتحه من زوايا جوانب فمها إلى أذنيها، وحفرلها ابتسامة تشبه الجوكر».

نظرت لـه بشـيء مـن القرف ثـم وبختـه متسـائلة مـا هـي العلاقة بين انتحار ميسون وتلك الداليا السوداء!

«اقولـك أنـا بقـى العلاقـة، لمـا جيـت عملـت سـيرش علـى الموضـوع مـن فتـرة اكتشـفت أنـه الممثلـة دي كانـت علـى علاقـة بشـخص من اصحـاب النفوذ؛ وفي شـواهد بتقـول أنها كانـت حامل وعلـى مـا أعتقـد الشـخصية الـي كانـت تعرفهـا دي هددتهـا فانتهـى بيها المطاف «جثة متشوهة من غير أي أثر لوجود الحمل».

«بـس تعرفي يا أدراسـتيا، لـو بحثتي عـن الموضوع أكثر هتحسـي أنـه اللعبـة دي حصلت على يـد جراح شـاطر لأنـه الدقة الغيـر عادية في القطـع والتشـريح بتقول ده، هتسـأليني إيه وجه الشـبه بيـن انتحار زميلتنـا العزيـزة ومـا بيـن قتـل الداليـا هقولـك ببسـاطة «فتشـي عـن الصيدلي».

«لأ مفهمتش، يعني إيه فتشي عن الصيدلي!»

تذكـرت فجـأة النقـاش الـذي دار بينهـا وبيـن أحـد المعيدين في قسـم «الفارماكولوجـي» كان عـن روايـة «هاملـت» لوليم شكسـبير، حيـث وقعت أدراسـتيا فـي دائـرة الحيرة بعـد قراءتهـا لها وتسـاءلت إذا كانت الأدوية التي ذكرها موجودة بالفعل على أرض الواقع!

«تسـمم والـد هاملـت بمـادة تـم سـكبها فـي أذنـه وهـو نائـم. تسـتخدم جولييـت دواء لتزويـر وفاتهـا. ووقعـت تيتانيـا فـي حـب رجل مع رأس الحمار بعد أن وضعت عصير زهرة في عينيها».

هـل مـن الممكـن حقـاً صـب السـم فـي أذن شـخص نائـم دون إيقاظـه؟ هل يمكـن أن تجعلـكِ تعشـقين رجلا بـرأس حمـار؟ وهل هناك مادة يمكن أن تجعلك تبدو ميتاً دون أن تسبب لك الأذى؟

«هل يمكن لنبات أن يجعلك تقع في الحب!؟»

يتـم تشـغيل الترخيـص الشـعري مـرة أخـرى فـي حلـم ليلـة منتصف الصيـف عندما يتم تخديـر تيتانيا، ملكـة الجنيـات، بناءً على طلـب من ملـك الجنيـات. لقـد خدعـت فـي الوقـوع في الحـب مع أول شـيء تـراه فـي الصحـوة، والـذي يصـادف أنـه فـلاح بـرأس الحمـار. الإليزابيثيـة بـكل شـيء مـن بـذور القـراص إلـى البطاطـا الحلوة على أنها تحفز الشهوة.

لـم يكـن روميـو وجولييـت فـي حاجـة إلـى أي مسـاعدة كيميائية لمسـاعدتهما علـى الانهيـار. ومـع ذلـك، أخـذت جولييـت دواء غامضـا كجزء مـن محاولتهـا لخـداع أسـرتها لتعتقـد أنها قـد ماتت، وهـي خطة عكسـت نتائج عكسـية عندمـا عثر عليهـا روميـو. أعطاها الراهب لورنس المادة قائلا:

«وفـي هـذا الشـبه المقتـرض للمـوت المنكمـش سـوف تسـتمر ساعتين وأربعين، ثم تستيقظ من النوم السعيد».

قد يكـون هـذا نبـات الأتروبـا بيلادونـا، والمعـروف أيضًا باسـم سـت الحسـن. إن كميـة صغيـرة تـؤدي إلـى الجنـون، بينمـا تسـبب كمية معتدلة «النوم المميت».

ولكن انتهى النقاش بينهم بالآتي: أن كل هذا ليس سوى مجرد افتراضات لا أحد يعلم مدى مصداقيتها.

«انتبه نقفور أن أدراستيا غابت عنه في حلم يشبه أحلام اليقظة، ولكن بمجرد أن انتبهت منه، ردت عليه قائلة: أنها فهمت معنى جملته «فتش عن الصيدلي».

لقد طمست هويتي اليونانية، لا أتحدثها سوى عند مقابلتي مع نقفور، ومع ذلك فقد يغلب على حديثنا اللغة العربية.

شعرت بالخطر؛ حتى أنني أعجز عن ترجمة حديث والدتي في أحلامي.

على الفور أمسكت بجهازي الخاص، وبدأت رحلة بحثي عن دروس تعلم اللغة اليونانية (وبالفعل وجدت إحدى المدارس القريبة مني).

لم أنتظر مرور الوقت، وذهبت في نفس اللحظة أسابق الزمن. تركيبة شخصيتي من النوع الذي يتراجع عن ميوله، فكان يجب أن أبدأ بسرعة حتى لا أدفن أصولي تلك.

أعطوني اختبارا لتحديد المستوى، لقد كان في منتهى الصعوبة؛ توقعت أن أكون أكثر إتقانا ولكن على الرغم من معرفتي بالكثير من الكلمات إلا أنني اجتزت نصف الأسئلة بصعوبة.

الشيء الذي أثار اهتمامي عند تقديمي في صف اللغة هذا، أن زملائي لم يأتوا إلى هنا بدافع العمل، أو لأن أحدهم لديه شركة يديرها في اليونان مثلا.

لفت نظري امرأة أربعينية لطيفة، أخبرتنا أنها تتعلم اليونانية؛ حتى تثبت لنفسها أنها طموحة وناجحة (خاصة بعد طلاقها).

بينما أخبرنا أحد المراهقين، أنه يحب «جيورجوس دالارس» المطرب اليوناني الشهير، بالإضافة إلى تعلقه بالموسيقى اليونانية التي تأسره في جميع الأغاني (فبذلك يرى تلك اللغة نافذته لفهم هذا العالم).

قضيت وقتا لطيفا، استلمت كتيب اللغة مع بعض الأسطوانات، واستطعت عمل جدول لتنظيم الوقت بين دراستي العلمية وتعلمي لليونانية.

أسندت رأسي في السيارة، قمت بتشغيل إحدى الأغنيات:

في مقدونيا في وقت مضى، إلتقيت والدة الإسكندر «تجاذبنا أطراف الحديث في الحقول»، كانت تعمل في الليل مع السحرة. آه يا مقدونيا – أيتها الرائعة (لماذا تذوبين مثل شمعة) مسكينة أنا – لدي ابن واحد.

أشعرني صوت جيورجوس، بالحنين إلى مقدونيا (ليالي طفولتي الهادئة).

***

الفصل الثالث

Οδίας

نريـــــوس

أحـب الجلـوس فـي الصفـوف الأخيـرة، منـذ دخولـي الجامعة، وأنـا أهـوى تلـك العـادة؛ وعلـى الرغـم مـن ذلـك، إلا أننـي كنـت أنجح في اجتذاب الاهتمام من المحاضرين.

تميـزت ملابسـي بالجامعـة بأنهـا محتشـمة، ولكني كنت أسـتمع إلى كلمـة «عاهـرة»، تلـك الكلمة التي تتسـلل إلـى مسـمعي، يقولها شـباب الجامعـة، هـذا لأنـي لا أعطيهـم أي إهتمـام، إنهـم مثيـرون للشـفقة، يمتلكـون درجة عاليـة من القبـح الفكـري، يظنون أنفسـهم الإله «يوس».

دخل حينها دكتور المادة، وكانت تلك هي محاضرته الأولى؛

لقـد كنـت أتسـاءل قبـل رؤيتـه عـن «معنـى كلمـة رجـل!»، إنـه كذلـك، ولا أدري مـا هو الشـئ الـذي جذبني ناحيتـه، يمتلـك عيونا داكنـة، عيناه كانتـا عميقتيـن وكارثيتيـن، لديه حواجب قويـة ورموش كثيفـة للغايـة، عظـام الخـد لديـه كانـت مميـزة، إنـه نحيـف ولكـن

يمتلك عضلات! وأنا احب ذلك. تساءلت بيني وبين نفسي «ما هو طوله»، خمنت طوله عندما مر «أمجد» بجواره، أمجد زميلي وهو شاب طويل القامة، يصل طوله إلى حوالي، يا إلهي! «هذا الدكتور أطول من أمجد»، لديه التراث العربي الذي يظهر في معالمه ونوع الجسم. حتى أن ملابسه كانت غريبة، إنه يرتدي قميصًا حريريًا أسود فضفاضًا مع أساور جلدية وسروالًا أسود. شعرت من كلامه أن الجميع يحبونه، كانت تعبيرات زميلاتي في عالم آخر لقد انجذبن إليه.

بعد المحاضرة انهالت عليه الفتيات، تماما كالطير الأبابيل إنهن يردن أن يكن قريبات منه تمامًا كما أود أنا.

الأمر الذي زاد جنوني، هو عندما قال أنه «قد عاد من رحلته إلى اليونان»، قلت بيني وبين نفسي «فلتأخذني معك إلى هناك، أرجوك»، شعرت بالغثيان للحظة عندما رأيت تلك التي تلمع في يديه اليمنى، «إنه ببساطة خاتم الزواج»، شعرت أنه اخترق طبقات عيني حتى وصل إلى عقلي، والذي أعطى شعور الصدمة عن طريق «الصداع، والرغبة في التقيؤ».

وما زاد الأمر عندما نطق بتلك الجملة: «عمري سبعة وثلاثون عاما».

»لماذا شهاب تحديداً من بين جميع رجال الإرض!؟ «

تساءلت بينها وبين نفسها، ما سر انجذابها نحو رجل متزوج ولديه أطفال وفوق ذلك يكبرها بسنوات عديدة؛ سناريو نراه

كثيراً في الأفلام، الفتاة شديدة الجمال التي تقوم بخطف الرجل من زوجته وأطفاله.

لم يكن يخطر على بال أدراستيا أن تقوم بدور الشر يوماً ما؛ ولكن هل انجذبت إليه بسبب وسامته، نضجه، ذكاءه ؟!

الحقيقة أن المرأة دائماً ما تنجذب إلى الرجل الأكثر خبرة، حتى حبها لممارسة الجنس تحتاج فيه إلى السرية، والتسلل حول اللقاءات الجنسية غير المكتشفة، والاستيلاء السريع على رجل متزوج، يمثل إقبلا شديدا مقارنة بموعد عشاء مع رجل يتصل مساء الأربعاء ليوم الجمعة. خاصة بالنسبة لمنتهكي القواعد، إنه أكثر متعة بالنسبة للمرأة الشقية العاشقة للمغامرات.

كما أن شهابا يمثل فرصة كبيرة لأدراستيا لتعود إلى اليونان، شهاب هذا الرجل الذي يمتلك المشاريع الطبية.

حدثت أدراستيا نفسها بخوف «ماذا لو لم أستطع جعل شهاب يحبني»، الأمر لا يتوقف عند درجة جمالك كامرأة فقط! ولكنه يتخطى حدود ذلك، إنها لعبة ليست بالسهلة.

تمشت أدراستيا حتى وقفت أمام المرآة، ثم لمعت فكرة ما أمامها.

قررت تحضير نفسها لمقابلة شهاب، فقامت بتجهيز نفسها مثلما تستعد العروس لليلة زفافها.

قامت بتحضير أحد فساتينها «فستان أسود طويل ولكنه عاري الضهر» ولبست فوقه كنزة حتى لا تبين مفاتنه.

خرجت من غرفتها وهي تتمشى ببطء حتى لا يسمعها جدها النائم في ركن الصالة، حتى وصلت عند الباب وقامت بانتعال الحذاء، وأغلقت الباب وراءها في هدوء تام، ركضت على السلم حتى وصلت إلى الخارج أوقفت التاكسي ليأخذها إلى منطقة «جاردن سيتي».

كانت تعلم أدراستيا بوجود شهاب في هذا الوقت في تلك المنطقة فهي تعلم حب شهاب للانعزال عن العالم كل يوم خميس بشقته الصغيرة الموجودة بالطابق السادس في واحدة من العمارات القديمة.

ولكن بمجرد وصولها أمام شقة شهاب، انتبهت فجأة لنفسها وتحدثت بصوت منخفض:

أدراستيا هل جننتِ؛ لا يوجد تعامل قوي بينك وبينه يسمح بذلك!.

لمعت في ذهنها فكرة «اتصلت بنقفور ابن عمها، وطلبت منه أن يتصل بشهاب على أساس أنه صاحب العمارة ويريد مقابلته حتى يخرج شهاب من الشقة ويراها» وكأن الأمر هو مجرد صدفة ليست مقصودة».

جـرت الأمور كمـا خططـت لهـا أدراسـتيا وبالفعل خرج شـهاب من شقته ليجد أدراستيا أمامه تنظر حولها.

«أدراستيا، بتزوري حد هنا؟»

«كانـت زميلتـي قالتلـي علـى خياطـة هنـا، فجيـت أفصل فسـتان بس توهت في العمارة؛ حضرتك ساكن هنا يادكتور؟»

«الجامعة كلها عارفة أني بقعد هنا كل يوم خميس».

«إيه ده بجد مكنتش اعرف!!، صدفة سعيدة بصراحة».

«تمـام أتمنالك حظ سـعيد مـع الخياطـة بتاعتك، يوم حلو سـلام يا أدراستيا».

شـعرت أدراسـتيا بشـيء مـن الحقـد والغضـب، لقـد فشـلت خططتها.

ركبت السيارة وبدأت تحدث نفسها:

الغريب أن شهاب، لا يعيرني انتباها كبيرا، أو حتى إي انتباه.

شـعرت بالقلـق؛ فقـد تعـودت أن أديـر أعنـاق الرجـال، الأمـر يستمر معه في كل مرة.

ظننـت فـي البداية أن المشـكلة قـد تكون فـي ملابسـي، وأن علي تغير هـذا النـوع (ولكـن الأمـر لا يتغير، حتـى عنـد ارتـداء الملابس الضيقة).

تصرفاتـه أشـعلت غـروري الأنثـوي، مـا هـو الخطـب مـع هـذا الرجل! هل هو مخبول أم شاذ!

اتهمها نقفور بأنها مصابة بحالة "daddy issue".

قام بإعطائها أسطوانة، وطلب منها الاستماع إليها.

أمسـكت بها فـور رجوعهـا إلى المنـزل، كانـت تعشـق اختيارات نقفور في الموسيقى والشعر وكل شيء.

كانـت الأسـطوانة للشـاعرة الأميركيـة «سـيلفيا بـلاث»، بعنـوان "daddy".

حدثـت نفسـها قائلـة أنهـا تحـب تلـك الشـاعرة كثيـرا، وخاصـة تلك الكلمات التي تقول فيها:

«جليد جاف.. يكسو نافذة ألمي

أيّ شرارة عزاء

يسعني قدحها من الحجر

لأعيد الخضرة إلى قفار القلب؟

من سيجوب هذا المكان الموحش؟ «

ولكني لم أستمع إلى قصيدة "daddy" من قبل!

بدأت الأسطوانة بموسيقى حزينة، ثم جاء صوت «سيلفيا»:

.Daddy, I have had to kill you

——You died before I had time

,Marble-heavy, a bag full of God

Ghastly statue with one gray toe

Big as a Frisco seal

فتشت في المواقع عن سيلفيا بلاث، تلك الشاعرة التي لمست أعماق عقدتها، حتى لمحت تلك المقالة:

استيقظتْ سيلفيا باكرا جدا في ذاك الصباح البارد من عام 1963 نظرتْ إلى ساعتها التي كانت تشير إلى الرابعة والنصف فجراً. نهضتْ من الفراش الذي لم يعد يحتمل ثقل جسدها الخفيف. جرجرتْ قدميها في أرجاء المنزل، لامست في حنان صورة والدها المعلّقة على جدار الرواق، ثم ألقت نظرة على الطفلين النائمَين في سكون في الغرفة الأخرى. حنتْ رأسها المتعب ولجأت إلى صدر طاولتها الرحب، تلك الطاولة التي صنعها لها زوجها تد بيديه. جلستْ أمام الورقة البيضاء بوقار الملائكة. أخذت قلما وراحت تكتب. كتبتْ كمن يعرف. كمن يَقتل كمن يُقتل وكمن يكتب ليقامر بمصيره. عنونت قصيدتها الأخيرة «الحافة». تطلّعت من حافّتها الشاهقة إلى هاوية العالم: ظلمة وصقيع ويأس وفراغ. «ليس للقمر أي مبرّر للحزن» ردّدت في سرّها. دخلتْ المطبخ. حضّرت الفطور لصغيريها فريدا ونيكولاس، قطع خبز طريّة مطلية بالزبدة وبعض الحليب. أودعت طعامها

وحُبّها رقعة الأرض الضيّقة الممتدّة بين سريريهما وخرجت على رؤوس أصابعها. عادت إلى المطبخ في بطء وهدوء. في هدوء خاصة. أحكمت إغلاق الباب والنوافذ بالشرائط اللاصقة كي لا تتسرّب سموم غيابها إلى الخارج. قالت لقلبها: «كثيرا مشينا، كفى». فتحت قارورة الغاز، استلقت على البلاط البارد، أغمضت عينيها وعادت إلى بيتها الأوّل.

اتصلت بعدها على نقفور، تؤنبه على اختياره لتلك القصيدة في هذا الوقت «كانت تبكي بحرقة»!

وتساءلت لماذا سيرة «سيلفيا»، هل يطالبها نقفور بالانتحار على طريقته الخاصة، أو ربما يريد جعلها تتأثر بحياة تلك الشاعرة التي تعاني من عقدة والدها. وكذلك يبدو أن نقفورا اعتقد أنها مصابة بتلك العقدة بسبب حبها لشهاب، ذلك الرجل الذي يكبرها في العمر.

بعد الانتهاء من تلك المكالمة حدث نقفور نفسه:

سمتني والدتي «نقفور»، وهو يعني باليونانية «القائد» كانت تظن أنني سأصبح قائداً منتصراً، لم تدرك حينها مدى الخيبات التي تتوالى على قلبي.

لم أجلب النصر ولكن هزمت في جميع معاركي حتى السهل منها.

عندما كنت في اليونان كانت روحي ترفرف كأجنحة الفراشات، التحفة الإغريقية التي لم تحرم التعبير عن معاني الجمال ولم تحرم أيضاً شيئاً جميلاً كالموسيقى أو الرقص.

عندما جئت إلى تلك المساحة اللامحدودة من الأراضي الفرعونية وأنا أرى طمساً لروح الإنسان، تلك الأرض التي تدفعك إلى النفاق؛ هنا يكره الرجال النساء وتكره النساء الرجال، يحقد فيها الفقير على الغني ويستمر في شكواه، يئنون ليل نهار لا يتوقفون عن الندب والسب والتنمر.

حتى هواؤها الملوث برائحة الدخان، هنا يدخنون بشراهة حتى أنك من السهل ملاحظة هذا السواد القذر الذي يملأ شفاهم ورئاتهم؛ ذلك السواد الذي تسلل في مرة و خيم على قلوبهم.

«هناك حاجة لخداع الحواس بأن هذا المجتمع هو المكان الذي ننتمي إليه حتى وإن كانت الحقيقة عكس ذلك».

كل ما تبقى لي هو الأشجار والطيور والزهور التي تزدهر وقدمي على الأرض التي تحملني، ما تبقى لي هو نفسي.

ها أنا أجلس في المقهى وحيدا، يتحرك الناس في الماضي، محاصرين في رؤوسهم وأنا تركت وجداني في اليونان.

يطل المقهى على البحر حتى أن أثاثه يشعرك وكأنك قمت بحجز قارب صغير في أمواج المحيط الثائر، في أحد نواحيه

القريبة مني والتي تعمدت الجلوس بجانبها كان يوجد حوض سمكي ضخم؛ وفي ناحية أخرى خارج المقهى «حمام سباحة يقوم فيه أحد المدربين بعمل العروض مع الدلافين».

لو سألني أحدهم عن الكائن الذي أود التحول إليه سيكون بالطبع «الدولفين» أو ربما أحد الكائنات البحرية حتى لو كان ذلك سمكة الويجر، حتى أوجه أشواكي المؤلمة إلى رأس شهاب، إنه لشيء مضحك أن يتمنى الإنسان التحول إلى سمكة.

يبدو أن الوحدة جعلتني أهذي، لا يوجد ما يسمى بزمن الماضي أو المستقبل؛ لا يوجد زمن حقيقي سوى الحاضر ولذلك سأنسى حبي لأدراستيا وسأتوقف عن تحليل المستقبل. لن أقلق بشأن من أكون، من سأصبح، من لا أكون أبدًا.

هل شعرت أدراستيا بمشاعري نحوها؟ لطالما حاولت ارتداء هذا القناع البارد أمامها؛ كنت أتعمد التسخيف من مشكلاتها وأراقبها سرا بعدها حتى أطمئن عليها، كنت أتهرب من لقاء عيني بها حتى لا تفضحني تلك الدمعة الصغيرة ولكن بعد كل ذلك كانت الوجوه الأكثر براءة هي الأكثر وحشية.

«نقفور، لقد اتفقنا منذ لحظات على نسيان الماضي» فلتذهب أدراستيا وشهاب معا إلى الجحيم.

سأمسك بهاتفي الآن وأجرب برنامج المواعدة الذي أرسله لي جيمس.

مواعدة يانقفور! «هكذا حدث نفسه».

نعـم مواعـدة وأي حيلـة أملـك لكـي أواجـه بهـا مـرارة الخيبـة والفشل والغربة عن وطني.

استسلمت أدراستيا للنوم كالعادة..

علـى قمـة جبـل الأوليمـب يوجـد قصـر عظيـم كان يعـد قديمـا قصـر إلهـه الإغريق، وجـدت أدراسـتيا نفسـها تقيم فى إحـدى غرف هذا القصـر يقـدم لهـا الــambrosia «طعـام يقـدم إلـى الألهـه»؛ فلقد كان يعرف أن طعام الإلهة يختلف عن البشر.

كانـت ترتـدى فسـتانا عـاري الصـدر، وشـعرها منسـاب علـى كتفيهـا ولكنـه أطول مـن المعتـاد، كان مـن حولهـا الحوريـات يقمن بخدمتهـا، والإلـه أبوللـو يعـزف القيثـاره فـى أحـد أركان الغرفـة، وعلـى أحـد الكراسـي العظيمـة كان يجلـس بوسـيدون «إلـه البحر» بشـيء من التيه والإعجـاب بنفسـه، على الجانـب الآخـر كان القصر فـى حالة مـن الحيـرة والعمل الشـاق اسـتعدادا لاسـتقبال كبيـر الإله زيـوس «إلـه البـرق والرعـد»، والـذى عنـد دخوله شـعرت أدراسـتيا بالتوتر «كان الإله زيوس فى منامها هو الدكتور شهاب».

والـذى عنـد دخولـه أمـر جميـع مـن فـى الغرفـة أن ينصرفـوا؛ ليتركـوه مـع محبوبتـه «من يقصـد بمحبوبتـه!؟» (فـي كل مـرة كانت أدراسـتيا تسـتطيع التحكـم فـى أحلامهـا؛ عندمـا تشـعر بالخـوف، تسـتطيع أن تعطي أمـرا لعقلهـا الباطن ولكنهـا عاجزة عـن الأمر هذه المرة) اقترب زيوس منها ويبدو أن الأمر قد تطور بينهما.

استيقظت أدراستيا من نومها وحبات العرق تتساقط فوق جبينها، كانت تنظر حولها بحيرة، ثم نظرت إلى ثيابها بتعجب أنها تشعر بالبلل فى ملابسها الداخلية وكأنها أقامت علاقة جنسية فى أرض الواقع، وتذكرت أنها سمعت عن هذا الأمر فى أحد البرامج الدينية والذى يدعى احتلام المرأة.

قامت فاغتسلت وبدلت ثيابها لكي تلحق بالجامعه.

بعد دخولي أحد المدرجات لحضور محاضرة الميكروبيولوجى، فوجئت بعدد كبير من الفتيات يرتدين اللون الأسود خمنت أنه قد يكون ذلك بسبب وفاة زميلتهن ميسون كيف نسيت الأمر.

إنها السادسة مساء، ومازلت بالجامعة مع زميلاتي ننتظر دورنا لدخول الاختبار الشفهي بمادة الـ "toxicology" كانت تجلس كل واحدة منا ومعها كتاب المادة لتراجع معلوماتها قبل الدخول، ولكني كنت أتركهن من وقت لآخر لأتفقد ملامحي وشعري (فشهاب هو الدكتور الذي سيجري لنا الاختبار).

كنا في أواخر شهر ديسمبر، هذا الشهر الذي يعطي طابعا أسود اللون لكل شيء.

حتى أنني أتساءل في بعض الأحيان عندما تمطر: هل العالم سيعود ورديا يوما ما؟

التحديق في الأشجار الشتوية، يصعب تخيلها وهي ترتدي ملابسها. مع الجذور المدفونة في أعماق الأرض. تتحرك أغصانها

مع نسمات الهواء البارد، مما يثير أحلام الشتاء. زخات المطر تأتي وتنزل على خدي.

كنت أرتدي معطفا طويلا أحمر اللون، لم لم أستطع أن أرتدي ملابس ضيقة؛ فالجو كان شديد البرودة حينما خرجت اليوم. وفجأة خطرت لي فكرة شريرة بعض الشيء.

وقفت تحت المطر لعدة دقائق حتى أبلل ملابسي؛ فتلتصق بجسدي لتظهر مفاتنه.

دخلت بعدها لشهاب في مكتبه، كانت ردة فعله قوية وجدته يصرخ بوجهي.

تصرف بعفوية عندما طلب مني أن أخلع معطفي، واتصل بسائقه الخاص، طلب منه أن يذهب لأقرب محل ملابس؛ ليشتري لي معطفا وبعض الأغراض الأخرى.

ثم نادى على «أم محمد» تلك السيدة المسنة وطلب منها أن تصنع لي كوبا من «الأعشاب» حتى لا أصاب بالبرد.

كنت أرى في عينيه صورة لروح جميلة، تفيض بالعطف ربما قد لمس روحي بخوفه أن أمرض. (تذكرت والدي وتساءلت بحزن من الذي يتمني وأنا طفلة!؟).

لاحظت خارج النافذة طائرا ذا عيون حادة وأجنحة ملطخة بالحبر، كان يصرخ بصوت عاليّ ومزعج.

لاحظه شهاب وأخبرني عن مدى كراهيته لطائر «الغراب»، لقد تشاركنا في تلك الصفة فأنا أيضا أكره كتلة السواد تلك.

إنه يذكرني باليوم الذي ماتت فيه قطتي، وبداخل الريف استيقظت على مجموعة من الغربان تتصارع حول شيء ما على الأرض. عندما اقتربت منها كان الجميع قد طار، وجدت قطة مشوهة لم أتعرف عليها في البداية، ولكني رأيت تلك الرابطة وردية اللون والمكتوب عليها أسم «kitty» لم يسمحوا لي بتوديعها.

«أدراستيا، ياريت تخلي بالك أكثر من كده؛ المطر حلو بس بيتعب!».

«حاضر يادكتور هاخد بالي بعد كده».

أمسك بكتاب المادة أمامه ووضع نظارته الطبية، و ظل يقلب في الصفحات، وينظر لي من حين لآخر؛ يبدو أنه يفكر في الأسئلة التي سيطرحها.

نظر لي نظرة مليئة بالشر قبل أن يسألني: عن طريقة تحديد زمن الوفاة؟

تفاجأت بالسؤال وخاصة أنه بعيد عن موضوع المادة والمفترض أنها عن علم السموم، ولكن على الرغم من ذلك كان لدي خلفية عن إجابة السؤال: الطريقة الأكثر دقة في الإشارة

لتوقيت الوفاة هي استخدام تركيز عنصر البوتاسيوم في السائل الشفاف المتواجد بالعين. يعود تزايد نسبة البوتاسيوم في هذا السائل إلى التفكك التدريجي للخلايا المبطنة للعين -الشبكية المتحللة- فيختلط دمها مع السائل مؤديًا لارتفاع مستوى البوتاسيوم به. بنفس طريقة حساب برودة الموت يمكن حساب معدل تسلل البوتاسيوم لهذا السائل واستنتاج توقيت الوفاة من العلاقة الرقمية الناتجة. تتحلل القرنية أيضًا كما تتحلل الشبكية مما يؤدي لتحول لون العين إلى لون معتم بعدما فقد سائل العين شفافيته البلورية مع تلاشي الماء شيئًا فشيئًا.

ولكن يبدو أن إجابتي لم تقنعه «رن هاتفه في تلك اللحظة ويبدو أن المتصلة كانت زوجته» لاحظت تغير ملامح وجهه من الهدوء إلى الغضب في حديثه، ثم أنهى المكالمة طالبا منها أن لا تعاود الاتصال به لأنه مشغول.

سكت شهاب بعدها لمدة دقائق وهو ينظر في الجانب الآخر، متحاشيا أن تلتقي أعيننا.

«دكتور شهاب، جايز حضرتك شايفني لسه مجرد طالبة خبرتها محدودة؛ بس عندي قلب يقدر يحس بالي قدامه كويس «مالك»؟»

«الشك والغيرة نار ممكن تحطم جذور أي علاقة، مهما كانت قوية!» ولكنه انتبه فجأة وعاود السؤال مرة أخرى لي: قولي طريقة ثانية لتحديد زمن الوفاة.

«دكتور شـهاب، حضرتك شـخصية فريـدة من نوعها» واسـتمرت أدراسـتيا بحديثهـا الناعم فأخـذت تعد له محاسـنه الخلقيـة، وكذلك لم يسلم شهاب من جمل الغزل.

ويبدو أن هذا الرجل كان متعطشا ليروي رجولته بمثل هذا المدح.

نظر لهـا بعدهـا بنظـرة مختلفة، لم تشـعر بها مـن قبل منه شـعرت بالسعادة من تلك النظرات الدافئة.

عرض عليها شهاب أن يوصلها للمنزل وخاصة أن الوقت قد تأخر.

بـدأ شـهاب القيـادة وكنـت بجانبـه، قطـع هـذا الصمـت بيننـا بسـؤال: تفاجـأت كثيرا بـه فلقد سـألني عن ديانتـي؛ أخبرنـي أنه علم من زميلاتـي أنني لسـت علـى الديـن المسـيحي علـى الرغـم من أن اسـمي (أدراسـتيا إسـكندر)، أخبرني أن منهم مـن يقول أنني مسـلمة (لأن أبـي وجـدي مسـلمين)، ومنهـم من أخبـره أننـي يهودية «نسـبة إلى والدتي اليونانية».

تفككت خلايـا التفكير فـي عقلي، وأصبحـت كقطع لعبة الــpuzzle؛ شـعرت بالتشـويش «ما هـي ديانتـي!» قضيت جـزءا مـن طفولتي مع أمـي، وتلـك المـرأة كانت تـردد كل يـوم (صباحـا ومسـاء): (انظري يا أدراسـتيا إلى جمـال تلك الحديقـة، تأملي فقـط جمالهـا ولا ترهقي نفسـك بالتفكيـر (مـن الـذي خلقهـا أو لمـاذا!). كانـت تكـرر لـي جملـة: (إن صـورة إلهـك هـي أنـت فـي أضخـم وأجمـل صـورة تتمناها لذاتك).

كانت تعطيني أفلام الرسوم المتحركة التي تضمن تجسيدا للإله، وأنه ليس سوى مجرد وهم!

عندما أخذني جدي بدأ بمحاولته لتصفية ذهني من تلك الأفكار؛ أعطاني مصحفا جميلا وسجادة صلاة، وأخبرني أن رحلتي في الحياة قصيرة وستنتهي ولذلك علي أن أفرشها بالورود.

شعر شهاب بالقلق من تأخر إجابتها، فسألها عن سر عدم الرد.

نظرت إليه وأخبرته: أنها ليست ملحدة، وتؤمن بالإسلام وتحترمه كثيرا، وفي نفس اللحظة هي لا تعتنق أيا من الديانات الثلاثة (ولكنها على الرغم من ذلك تؤمن بوجود إله هذا الكون ووحدانيته).

سألها شهاب (لماذا قد يحتاج الإنسان إلى الله!؟) لم ينتظر إجابتها فواصل الحديث: يبدو أنك تربيتِ على أفكار الفلاسفة بالعودة إلى سيغموند فرويد، وصف بعض علماء النفس المعتقدات الدينية بأنها مرضية، حيث يرون الدين كقوة اجتماعية خبيثة تشجع الأفكار غير المنطقية والسلوكيات الطقوسية.

بالطبع، شكوك علماء النفس – وشكوك الآخرين الذين لا حصر لهم على مر التاريخ – لم تقيد قبضة الدين القوية على البشر.

فكما تعلمين أن النسبة الكبيرة من العالم بحوالي 85 ٪، يؤمنون بوجود الإله مع اختلاف ديانتهم.

توقف عـن الحديث ثم سـألني «مـاذا تعني الكنيسـة أو المسـجد، بالنسبة لي؟»

الكنيسـة هذا المبنـى الجميل بأحجـاره القديمة وزجاجـه الملون، لكن بالنسـبة لـي ليس سـوى كناية عـن اللـه. لا يمكن احتـواؤه على الجـدران، فأنا لا أحتاج قسـاً أو إمام مسـجد، ليشـعرني بوجـود الله. إنـه بداخلـي (لقـد نفـخ فينـا الحيـاة مـن روحـه)، إنـه فـي السـماء والبحـار وقلـوب الأطفـال. إنـه فـي أرواح جميـع الحيوانـات. هـو المعجـزة التي خلقـت عالمنـا، والحـب الـذي يحتاجنا إلى التشـبث بـه ومعرفـة أننـا فـي أمـان معـه، مـع الحـب. الأرض هـي كنيسـتي ومسـجدي؛ والتـي أراهـا تدنـس يوميًـا. أنا أجلـس تحت عرشـه كل يـوم، فـي كل وقـت. لا أحتـاج إلـى تلـك المبانـي. الفارغـة التـي تسـميها دارا للعبـادة ومكانـا لإيـواء الفقـراء، ولكنها ليسـت كذلك. لقـد تـرك الإنسـان الأبـواب مفتوحـة للشـيطان منـذ فتـرة طويلـة؛ بعبادتـه للمـال والقـوة والسـلطة. لـم يكـن الله موجـودًا داخـل تلك الأسـوار فقـط. لذلك كنيسـتي هـي قلبـي، ليالـي خسـوف القمر هي كنيستي، لا يمكن اختزال تلك العلاقة المقدسة بمبنى وجدران.

لـم يعلـق علـى كلامـي، وظـل صامتـا، يبـدو أنـه شـعر بانقطـاع الأمل في إقناعي، أو ربما الملل.

فاجأنـي بالسـؤال التالـي: «كفتـاة جميلـة مثلـك؛ مـا هـو عـدد خبراتك السابقة ؟».

لم يكن لديها أي خبرات «سوى علاقتها السابقة مع عمار».

نظرت إلى شهاب: نظرة تميل إلى الغضب. لأن رجال الشرق مصابون بحالة «madonna whore complex».

الرجال يرون أن النساء إما سيدات قديسات أو عاهرات محطمات.

مادونا هي «إشارة للسيدة مريم» في الديانة المسيحية بينما العاهرة هي الصورة المُناقضة لمريم بالمفهوم الديني، قالها فرويد حينما يُحب هؤلاء الرجال لا يكون للرغبة مكان، وعندما يرغبون لا يستطيعون الحب.

الرجل الشرقي معروف عنه عدم تقبله للمرأة ذات التجارب السابقة. تطارده الخيالات والرؤى، وتؤرقه هواجس ممارساتها السابقة. حتى وإن كان الأمر يقتصر عند مرحلة الحب، ولم تتعد تلك المرحلة مع أي رجل «فهم مصابون بداء الشك»، وقد يتخيلون سناريو لعلاقة حميمة، حدثت في تلك القصة

يرى في نفسه المهدي المنتظر لكل فتاة، المسؤول عن حمايتها من الانحراف والعهر؛ رجل يعاني عقدة مادونا والعاهرة.

عندما يشتهي الرجل امرأة، وخاصة إذا كانت لديها خبرات سابقة، لن يحترمها مطلقا ولن يتزوجها، فهي في نظره ملوثة ونجسة ولا تليق به كزوجة، ومع أنه قد يمتلك مشاعر عاطفية، وقد يصل الأمر إلى الحب! لكن لن يسمح لنفسه أن يكون معها

لبقية حياته فهذه هي (العاهرة)، حيث سيبحث عن «فتاة جيدة للزواج»، عادة ما تكون امرأة باردة جنسياً، الصورة الأخرى للفتاة العذراء (مادونا)*. الرجال غير قادرين على دمج هذه الصورة للمرأة، أي قدرتها على أن تكون مالكة لجسدها وقادرة على التعبير عن رغباتها الجنسية، وبين التحكم بها.

نظرت لشهاب مبتسمة: إنها على عكس المتوقع، لا تمتلك أي خبرات أو تجارب.

شعرت بأن الوقت قد حان لتحكي له عن أحلام والدتها المتكررة، وبالفعل ثم أخبرته عن رغبتها بالسفر إلى اليونان والقيام بحرق مكتبة والدتها، قالت إن ذلك قد يخفف عن والدتها عذابها أمام الله.

التفت شهاب بسعادة: «معنى كده أنك مسلمة وبتؤمني بوجود ربنا».

لم تعلق أدراستيا على الجملة، ولكن في تلك اللحظة أغمض شهاب عينيه محاولا الاقتراب منها: شعرت أدراستيا أنه يريد تقبيلها، وعلى الفور ابتعدت متذكرة كلمات نزار قباني: أحلى الشفاه التي تعصي.

وأسوأها تلك الشفاه التي دوما تقول بلى».

***

* تنبيه للقارئ «جزء شرح عقدة مادونا، موجود في العديد من المقالات الفلسفية»، والتي ساعدتني على شرح عقدة الرجال في الرواية.

الفصل الرابع

Θάνατος

الموت

مع وجود ربع القمر الذي تحجبه الغيوم، كانت تعمل أدراستيا في غرفتها؛ تضع قفازات طبية في يدها وتمسك بأنبوبة الاختبار، أمامها أحد الفئران الذي أخذته من معمل الفارما، وضعته داخل طبق التشريح، وبيدها أنبوبة تحتوي على الأستكرنين والوارفارين ومواد سامة أخرى.

نظرت إلى الفأر بنظرات مليئة بالنشوة، كم كانت تعشق معامل تشريح الفئران والضفادع.

أمسكت بالسرنجة، وقامت بخلط المواد مع بعضها.

حقنت الفأر بها ثم وضعته داخل صندوق زجاجي شفاف؛ في تلك اللحظة، وجدت بومتها تحلق في الغرفة؛ شعرت بالضيق من ارتفاع صوت أجنحتها.

ولكنها في النهاية تابعت النظر إلى الفأر، شعرت بالانتصار عندما رأته وهو يتوقف عن التنفس؛ في العادة يقتل السم الفأر

في غضون ثلاث ساعات؛ وخاصة مع فأر بهذا الحجم الضخم.

ولكن يبدو أن الخلطة التي ابتكرتها، سرعت من موت الفأر. وبعد دقيقة فقط خرج الدماء من الفأر؛ استدارت ونظرت إلى بومتها، فهمت البومة أن أدراستيا تناديها بأسلوبها الخاص.

طارت إليها ووقفت على كتفيها؛ واقتربت بوجهها من أدراستيا وظلت تحتك به (تماما كما تفعل القطة مع من تحب).

فتحت الصندوق الزجاجي، وبإشارة منها «طارت البومة لكي تبدأ بأكل وليمتها».

تابعت المشهد من وراء نظارتها الطبية، ومعطفها الذي تملأه بقع الدم قد تكونت على مدار أسابيع وجودها في المعامل.

بدأت البومة بالتشنج يبدو أن الأستركنين منتشر بكثرة في جسد الفأر، ظلت تطير في أنحاء مختلفة في الغرفة بسرعة، ثم هبطت مرة واحدة إلى الأرض.

تكونت بحيرة من الدماء على أرضية الغرفة، الوارفارين قد نفذ مهمته بجدارة.

عانت البومة من نزيف حاد في المعدة، استمر يوما كاملا لم ترحمها فيها أدراستيا كانت تتخللها نظرات ضعف من البومة، مع أنين خافت.

ذكرتها نظرات البومة بالجريمة التي اقترفتها منذ سنوات، عندما كانت في المرحلة الثانوية.

كانت تتمشى في حديقة منزلهم بالريف، ولاحظت دلوًا أزرق موضوع على العشب، شعرت بالارتباك لأن الدلو لم يكن لها. تحول الارتباك إلى صدمة عندما أدركت أن هناك حركة داخله ؛ وجدت ثلاثة جراء صغيرة وصلعاء، تحتاج إلى المساعدة.

هذه الجراء الفقيرة، إنها صلع تمامًا ولديها جلد أحمر خام وحاك. لم يقبل الجد حينها باستضافتها.

هرعت أدراستيا حينها بالجراء مباشرة إلى الطبيب البيطري، الذي أكد لها أنها كانت تعاني من حالة قصوى من الجرب. كما تم تجفيفها بشكل لا يصدق، واثنان منها كان لديهما بعض مشاكل العين أيضًا. بدأ الطبيب البيطري علاجها على الفور.

على الرغم من البداية القاسية لها، بدأت الجراء تتفوق على الفور بفضل العلاج والكثير من الطعام والماء، واستقرت بشكل جيد وكانت في حالة تحسن كل يوم. الآن بعد أن أصبحت آمنة ويتم الاعتناء بها، اختارت أدراستيا لها أسماءها الجديدة (كوموس، أجاثا، اسيليا).

ظلت تعتني بها، لمدة سنة كاملة؛ حتى أنها كانت مشهورة في مدرستها الثانوية بحبها للجراء الصغيرة.

ولكـن علـى الرغم مـن ذلـك، فقـد اسـتيقظت ذات يـوم، دخلت الغرفـة التي ينـام بهـا الجـراء، أخذتها مـن مكانهـا كانت أجاثـا تلعق خـد أدراسـتيا، بينمـا قفـز كومـوس مـن ذراعهـا، و جـرى ناحيـة الألعـاب التـي أحضرتهـا لها أدراسـتيا أمسـكها بفمـه، واقتـرب منها ليعطيها إياها، ولكنها أمسكت بها، وحملته كبقية الجراء.

أوقدت النيران علـى الإنـاء الكبير، ووضعـت فيها الميـاه المغلية، ثم ألقت بكوموس في البداية، واغلقت الغطاء.

خمنـت أجاثـا واسـيليا مـا يحـدث، فصـوت نبـاح كومـوس كان عاليـا؛ والـذي اسـتمر لدقائق «موضحـا مدى الألـم، الذي يشـعر به» ظل الصوت يضعف شيئا فشيئا حتى اختفى.

أمسـكت بأجاثـا، لاحظت تدفـق الدمـوع مـن عينيهـا؛ ولكن هل تبكـي الحيوانـات مثـل البشـر!؟. فـي الواقـع أن تلـك المخلوقـات الضعيفة تبكي وتشـعر بالحـزن مثل الإنسـان. يمكنـك ملاحظة ذلك من خلال تأثر الكلبتين «إنهما ترتعشان، تنتظران دورهما».

سـمعت فـي تلـك اللحظـة، صـوت الجـد يعلـو؛ فتحـت بـاب المطبخ لتخرج سريعا وحينها هربت الجروتان بعيدا.

مـرت الأيـام، ويبـدو أن إحـدى الجروتيـن جـاءت للانتقـام؛ فقـد اسـتطاعت أن تحفـظ صـورة أدراسـتيا فـي ذاكرتهـا طيلـة تلـك السنوات.

إنها ليلة الخميس، موعد أدراستيا الأسبوعي مع أحلامها.

وجدت نفسها تنام داخل معبد «بوسيدون»، وأنها متزوجة من «مينوس» وهذا الاسم يعني فرعون في اللغة الكريتية.

كان مينوس يقف بجوار إله البحار، و أخبره عن مدى ولائه له، وإنه سيقدِّم أفضل أضحية عنده للإله «كتعبير عن مدى إخلاصه». أراد بوسيدون اختبارَ مدى صدق هذا الوعد، فكما هو الحال «البشر لا يوفون بوعودهم تجاه إلهتهم»، فأخرج من البحار ثورًا أبيض، كان أفضل ما رآه مينوس في حياته.

وبما أنه قطع على نفسه عهدًا بالتضحية بالحيوان الأكثر جمالاً الذي لا نظير له، وقد كان الثور في غاية الجمال، فكان يجب أن يقدمه لبوسيدون. ولكن بدلا من ذلك قام بالتضحية بالثور الأكثر جمالاً في قطيعه بدلاً من التضحية بالثور الأبيض.

غضب بوسيدون غضبًا شديدًا من فعلة مينوس الذي لم يفِ بوعدِه، وخدعَه، فطلب من أفروديت إلهة الحب والجمال أن تنفخ في الثور الأبيض شهوة مجنونة تجاه باسيفاي والتي كانت هي أدراستيا في الحلم زوجة مينوس. وهذا ما حصل، لكنها لم تعرف كيف تسلِّم نفسها للثور، فطلبت من ديدالوس، مهندس مينوس الشهير، أن يصنع لها صورة خشبية لبقرة حيث تستطيع النزول فيها على هيئة بقرة لا نظير لها، وتقوم بممارسة الجنس مع الثور. وهكذا أصبحت كلما تنزل في هذا القالب الذي صنعه

ديدالـوس لهـا تتحول مـن الخصر إلى الأسـفل إلـى تلك البقـرة التي لا نظير لها.

وُلِدَ من هذه العلاقة المينوطور ذلك المسخ الوحشي الشهير.

إنـه مسـخ ذو وحشـية هائلـة ذلـك أنـه كان يقتـات علـى اللحـم البشـري فقـط، فطلـب مينـوس مـن مهندسـه أن يبنـي فـي سـراديب قصره متاهـة (لابيرينتـو)، حيث يسـتطيع أن يحجر هذا المسـخ الذي كان يفترس كل شخص يلتقي به في المدينة.

ولكـن أدراسـتيا وجـدت نفسـها قـد دخلـت فـي تلـك المتاهـة، التـي لا تسـتطيع الخـروج منهـا، ظهـرت لهـا والدتهـا مـرة أخـرى وأخبرتهـا أن الحـل فـي القـلادة الذهبيـة، وإلا فإنهـا سـتحتجز في تلك المتاهة على أرض الواقع.

وضعت مـع نقفور خطـة محكمة للحصـول على القـلادة الذهبية، أخبرت جدها أنها تشعر بالاكتئاب وتود السفر إلى الريف.

لم يشأ الجد تركها تسافر وحيدة، وهذا ما أرادته.

سـارت الخطة على ما يـرام. الجـد يقود السـيارة بجانبه أدراسـتيا ويجلـس فـي الخلـف نقفـور؛ يسـتمع الجـد بهـدوء إلـى معزوفـة الفصول الأربعة لأنطونيو فيفالدي.

وصلـت السـيارة إلـى منطقـة الريـف الهادئـة، تبـادل الجـد مـع أدراسـتيا النظرات التي يملئهـا الحنيـن، أغمضت هي عينيهـا وبدأت في التذكر:

أيام الربيع التي قضيناها في الحديقة، جدي وأنا.

جـدي يقف بسـعادة ويـزرع الفاصوليا الخضـراء والباذنجـان. كنا نسـتمتع بأشـعة الشـمس السـاطعة، سـماء زرقـاء صافيـة، تلـك التي جعلـت العالم مريحًـا للغاية. وعندمـا تأتي الأيـام الشـتائية الممطرة، وبـدلاً من الهـرب إلـى الداخل، كنـا نبقى فـي الحديقة لنرقـص؛ كان هذا عالمنا ؛ عالمي البسيط أنا وجدي.

يحـب جدي الموسـيقى بـل أننـي أكاد أقسـم أنـه يعيـش لأجلها، قـد جعلنـي شـغفه أحفـظ الكثيـر مـن السـيمفونيات العالميـة عـن ظهر قلب.

اقتربنـا مـن المنـزل و أمـام سـماء الليـل المظلمـة كان بإمكانـي رؤيـة جميـع الجـدران المتهالكة التي لـم تكن أكثـر من صـورة ظلية شبحية للحياة السابقة لبعض الناس على تلك الأرض.

وبعـد رحلـة طويلـة كان الجميـع يشـعر بالتعـب فصعدنـا للنـوم والراحة.

اسـتيقظت فـي اليـوم التالـي، نظـرت إلـى جانبـي ولاحظـت باقة من زهور النرجس والكرز.

أمسـكت بهـا كانـت تلك عـادة جـدي فـي كل مرة آتـي فيهـا إلى الريف؛ أن يرسل لي باقة زهور مع رسالة مكتوبة بخط يده.

كان سـهلا علي أن أجـد الظـرف؛ فدائما يضيـف له جـدي رائحة عطره الكلاسيكي الهادئ.

أمسكت به وبدأت أقرأ:

طفلتي...

أعلم أنك تكرهين مناداتي لكِ بهذا الأسم، ولكن اعذريني.

أحب إهداءكِ الزهور من حين لآخر، لقد كان القمر يحترق كل ليلة قبل قدومك لمصر كنت أقضي وقتي ووحدتي في النادي، أنظر بحزن شديد إلى العائلات من حولي.

أفتقد زوجتي «كامليا» كثيرا؛ وأفتقد أبنائي إسكندر وآرتميس.

كنت لا أجد سلواني سوى في اللعب مع كلبي العجوز، ولكن رحل هو الآخر في حادثة سير يؤلمني تذكرها.

الكتب ليست كافية لتشارك الإنسان في وحدته؛ أصوات المدينة كانت تشبه حالة الهذيان التي تزيد من آلامي، وكذلك الصراخات التي تملأ الموسيقى لقد أحببتها عند قدومك.

أمضاء جدك

نظرت للرسالة بشيء من السخرية وقامت لتجهيز الفطور لجدها.

بعد عدة لحظات من تناول الجد للطعام، ناولته أدراستيا كوب العصير الطازج ومعه حبة الدواء.

في المساء تمشت في الأرض المجاورة لهم، وراقبت المنزل المهجور الموجود فوق التل مرة أخرى.

كان متمنياً أن يأتي ضوء الصباح في وقت مبكر لتدفئة جدرانه المنهكة، تساءلت كم من الوقت مضى منذ سمعت جدرانه صوت ضحك طفل صغير؟ كم من الوقت مضى منذ أن شعرت جدرانه المهجورة ببرودة الطلاء المنعش أو احتوت على رائحة عشاء ليلة الجمعة؟

لقد كان الحنين الطويل الذي يتوق إلى الأشعة الذهبية يمسك بالأخشاب في الكثير من منازل المنطقة، تساءلت في نفسها ما هي المدة التي غابتها بالضبط عن الريف!؟

عادت مرة أخرى إلى الجد أعدت له طعام العشاء وكالعادة أعطته حبة الدواء مع كوب العصير وتكرر هذا الروتين كل يوم تقريبا في صباح اليوم التالي

الجد يمسك بالجريدة ويتحدث بصوت عالي، إنه يقول عدة كلمات غير مفهومة كما أن علامات التشنج تكسو وجهه، قام وظل يكسر أثاث المنزل ويقول أنقذوني الوحش قادم... الوحش قادم.

جرت أدراستيا ونقفور وحاولا تهدئة الجد ولكنه كان في حالة عصبية شديدة، انتهى بها الأمر إلى الاتصال بمستشفى الأمراض العقلية.

أجرت أدراستيا مقابلتها مع المحامي الخاص بهم وأخبرته أن يذهب بالجد إلى دار المسنين بعد أن يتلقى علاجه في المشفى.

أعطى المحامي الحق لنقفور وأدراستيا في التصرف في ممتلكات جدهما؛ باعتباره غير مسئول عن تصرفاته بسبب حالة الهلوسة التي أصابته مع كبر السن.

بعد خروج المحامي، أمسك نقفور بيد أدراستيا وبدآ يرقصان بهستريا وسعادة مفرطة.

هنأها كذلك على ذكائها الذي ساعدهما في وضع حبوب الهلوسة له كل يوم والتي ساعدت على ذهاب عقله، الأشباح لا تمتلك قدرة على إرعاب القلوب بقدر ما يفعل الأبناء والأحفاد العصاة في أهلهم.

ذهبت أدراستيا إلى دار المسنين لاستكمال بعض الأوراق، حينها طلبت منها المديرة أن تلقي نظرة على غرفة جدها؛ كان قد تلقى فترة علاجه في المشفى واسترد جزءا من عقله.

عندما دخلت إليه وجدته يجلس على السرير بحزن، التفت إليها ويبدو أنه ترك الحرية لدموعه.

سألها والوجع يملأ نبرة صوته: لماذا ياطفلتي!؟

أشاحت بوجها بعيدا وخرجت بسرعة.

***

الفصل الخامس

Αγάπη

عشـــــق

فى منتصف الليل، كانت مستلقية على سريرها تحدق فى الاشيء، تلك اللحظات التى تراودنا عن نفسنا، وتهمس فى أذننا بصوت مبحوح قائلة: أنت وحدك لقد انتصر عليك جيش الحرمان، ثم تفتح كصندوق الموسيقى القديم لتسمعنا أصوات من رحلوا يتكرر صداهم؛ ومع كل تكرار يهتز الجسد من شدة الحنين.

وكأنك قمت بتشغيل آلة الزمن ونظرت حولك.

2015

عندما كانت أدراستيا بعمر السادسة عشر، تحديدا بمرحلة الثانوية العامة، كانت تقيم بالإسكندرية.

وفى شهر أبريل عندما تفتح أبواب السماء لتضيء الشمس بعد احتجابها في فصل الشتاء، وتلك المصادفة التى جعلت هذا

الشـهر ينسـب إلى فينـوس أو أفروديـت، وبالتالي فلا عجـب إذا كان هذا شهر ميلادها «أدراستيا».

قامـت حينها بتسـجيل الاشـتراك فى إحـدى رحـلات الغوص فى شـاطئ أبـي قيـر لرؤيـة آثـار مدينتـي «هرقليـون» و«كانوبـوس» الغارقتيـن تحـت المـاء؛ واللتيـن ترجعـان إلـى زمـن ملـوك البطالمة والحقبـة اليونانيـة الرومانيـة التـى شـهدتها المدينـة مع وجـود بعض الآثار التى تعـود للحقبـة الفرعونية القديمـة كبقايا أوزوريس حسـب مـا تـروى الأسـطورة الخالـدة، بالإضافـة إلـى كونهـا ميناء لليونـان قديما.

كان قـد حضـر إلى تلـك الرحلـة أربعـة أفراد (سـيدة فـى الثلاثين يبـدو مـن هيأتهـا أنهـا تعشـق المغامـرات، طالـب بالمرحلـة الثانوية يبـدو أن لديـه بحثـا فـى مـادة التاريـخ وجـاء ليستكشـف المدينـة الغارقة بنفسه، وشاب شديد الوسامة).

لم يكـن المرشـد السـياحي الخـاص بالرحلـة قد جـاء نظـرا لقلة العدد؛ شعر حينها الطالب الصغير بالإحباط.

قـررت أدراسـتيا القيـام بشـرح تفصيلـي عـن المدينـة قبـل القيام برحلة الغوص؛ فلقد حكى لها جدها كثيرا عن هرقليون.

بـدأت أدراسـتيا تسـرد التفاصيـل بطريقـة مشـوقة وجذابـة، كان الشـاب يرتـدي نظارة سـوداء اسـتطاع مـن خلالهـا أن يخفـى نظراته وعينـاه المعلقـة عليهـا من خـلال ذلـك السـتار الأسـود، كان يجلس

واضعا يده للوراء والأخرى تستند إلى كرسي بجواره، كان لون شعره هو البني الخريفي، يشبه لحد كبير لون أوراق الشجر حينما تتساقط فى فصل الخريف، غلب على وجه ملامح أهل الشام من نقاء البشرة.

شعر بأنه فقد تركيزه عندما احتلت أنفه رائحة العطر التى تضعها أدراستيا، عطر (فيرساتشى) تلك الرائحة المختلطة بين البرغموت والرمان مع مزيج من روائح الأخشاب المتعددة.

بعد انتهاءهم من الرحلة، تتبعها الشاب إلى حين وصولها للفندق الذى تقضى فيه إجازتها مع الجد «فندق توليب»، وبعد تفكير اتخذ تلك الخطوة أخيرا.

يا أنسة، وقفي شوي حابب أقلك شي.

استوقفتها تلك النبرة الملائكية والتى تظهر خشونة صوته. أيضا

نعم يا أستاذ، أقدر أساعدك بحاجة ؟

دخيل الله لا تفهمي أني بدى أزعجك، اذا بتسمحي فينا نحكي شوي فى كافية قريب!

لم يكن من عادتها الوقوف مع الغرباء أو الاستماع إليهم، ولكن كأن القدر يمتلك يدا تعبث بنا وتحركنا كدمية الماريونيت والتى أجبرتها على الموافقة.

..بتعرفي من وقت ما وصلت ع مصر، وأنا فى حالة وحدة، مع أني قابلت بنات كثير صدفة ولكن ما بعرف شو جاذبنى لحتى احكى معك، هل أنتى يونانية!؟

وعرفت أزاي!؟

أنا متابع جيد للميثولوجيا اليونانية، وقرأت عن قصص الحوريات ولفت نظري كتير اسمك «أدراستيا» بالإضافة إلى اختيارك لنوع عطرك، فيكِ من ملامحهن وطريقتهن بالكلام، ولما قلتِ جدي الإسكندر، خمنت ع طول أنك من مقدونيا.

مش هستغرب ذكاءك خالص، من لهجتك قدرت أخمن أنك سوري يا...؟

..عمار، عندى 26 سنة اجيت على مصر بسبب الأحوال والظروف الى انتي بتعرفيها؛ ما اقدرت أكمل عملي بسوريا.

..وانت من أي منطقة هناك، من اللهجة تقريبا دمشق تحديدا؟.. اه كتير عندك فراسة وذكاء؛ أنا بالفعل من دمشق، بالمناسبة أنا اتخرجت بكلية الطب البشرى وتخصصي هو الجراحة، عندى عيادة خاصة بمنطقة الرمل.

.. مبسوطة أني اتعرفت عليك.

وكأن السماء كانت تبكي على هذا اللقاء؛ فأمطرت بغزارة على الرغم من انتهاء موسم الشتاء.

..سامعة صوت المطر، هلا أنا بدى لأقوم تعي نتمشى.

وافقت أدراستيا على الفور، كانت تسير بجانبه بخطى يطيئة؛ كانت حبات المطر تتساقط على وجهها لحست شفتيها وقالت: للمطر طعم لذيذ.

أنا من منطقة (جوبر) الموجودة في الشمال الشرقي لدمشق، كنا نعيش بأمان الحكاية بدأت بمظاهرة سلمية ضد النظام السوري ولكن الرد عليها كان على حساب الأبرياء من المدنين، جوبر مثلها مثل غيرها كانت برعاية صواريخ أرض-أرض المحملة بغاز السارين، والنتيجة هي آثار الدماء عرف يمحيها غبار القصف، اللعين ابن اللعين بدأ يحاول معنا بحرب التجويع ظنا منه أنه راح نستسلم ولكن ظلينا نقاوم الوضع.

كنت راجع في يوم من بعد ما أنتهى دوامي قربت على حارتي، طيلة طريقي ظليت أتأمل في البيوت الي هدمت فوق أهلها لحين وصولي لمنزلنا لقيت والدي قاعد.

سبعة أطفال راحوا لسبع سماوات، سبعة أطفال لم يخطر على بال أمهم وهي تودعهم قبل النوم أنها تحكي لهم قصتهم الأخيرة، لقد كان الموت يأبى الرحيل من بلدي.

وصلنا لنهاية الطريق ما كان عندنا طاقة لنتحمل ولإنقاذ من تبقوا من عائلتنا قررنا السفر لمصر في البداية ماعرفنا نتأقلم بسبب الظروف الأمنية في وقتها، أهلي من أصول فلسطينية قررنا

السفر لغزة، وبعد معاناة سفر وانتظار داخل صالة معبر رفح دخلنا لغزة رحنا على مدينة خان يونس جنوبي القطاع عند أقاربنا.

ولكن الأيام أثبتت فشل خطتنا، خرجنا من قصف النظام السوري لحتى نعاني من القصف الإسرائيلي.

في الفترة الي كنا فيها بغزة وصلنا خبر اعتقال أخي الكبير.

وكما قالها أحد الشعراء:

بلدي أردتك حرّةً تأبى الخَنا

لكن غيري قد أرادك مومسا

هم شرّعوا أبواب مخدعك الذي

ما اعتاد يوماً أن يكون مدنّسا

وأباحوا جسمك للذين تشدّقوا

بتحرّرٍ، فحذاري أن يتنجسّا

فأجابه هوّن عليك فتلك بعض بشائرٍ

فالصبح إن جنَّ الظلام، تنفسّا.

وبطريقة ما سافرنا على اليونان، ولأنه وضعنا المادي لحد كبير مستقر ما كان في معاناة بإيجاد السكن، وفي يوم كنت واقف في ساحة سينتغما ولفت نظري شاب بعمر المراهقة واقف مع

رجل أربعيني ناضج، من هيئة الفتى خمنت أنه لاجئ سوري فقررت أقرب شوي لحتى أسمع شو عم يحكوا ولقد كان الحوار كالتالي عزيزتي أدراستيا:

ما رأيك أن تأتي لعمل جلسة مساج لي مقابل 10 يورو.

رد عليه الفتى: جلسة مساج فقط أم أنك تريد شيئا آخر، ممارسة الجنس ستدفع عليها 20 إضافية.

وهكذا تم الاتفاق بينهما على أنه الشاب المراهق هيروحله في بيته. بصراحة ما أقدرت أتمالك نفسي، أستنيت الراجل لحتى يمشي ورحت لعند الشاب.

ليش بتسوي هيك، شو الي جبرك على هيك حياة!

ليرد عليا الشاب: أنا بنام كل يوم مع رفقاتي في ساحة سنتغما وأحيان لما يكون معنا مصاري بنعرف ننام في شي فندق سعره منيح، حياتنا ذل وفقر ومو أنا لوحدي الي هيك أحنا رفضنا نتاجر بالأسود أو بالمخدرات، ما أخترنا هيك عيشة أنجبرنا عليها.

أنجبرتوا على شو؟ رفضتوا تشتغلوا بالمخدرات ولكن وافقتوا على بيع مؤخرتكم!

ثم أنهار الشاب من البكاء: في يوم كنت جوعان ما أكلت أنا ورفقاتي من أيام، لقيت رجل كبير بالسن شي حوالي 50 سنه أخذني لمطعم غالي وطلبلي أكل، بعدها عرض علي أبيت عنده بالبيت ما

كنـت بعرف شـو نيته، قالـي أفوت علـى الحمـام لحتى أتحمـم وعطاني ثيـاب، بعدهـا صـار الـي صـار ماعرفت أقـول شـي، إذا بـدك تسـاعدنا بيكون كتر خيرك ما تحكم على شي انت ما مريت بيه.

كانت أدراسـتيا على تواصل مـع أقاربهـا اليونانيين عنـد وصولهم إلـى الإسـكندرية، وقـد تلقت دعـوة إلـى حفلة مـن حفلات السـيدة (أندروميـدا) وزوجهـا (أندريـا) لـم تكـن محبـة لتلـك الحفـلات؛ بسـبب ما يحدث فيهـا من تصرفـات غجريـة. ولكن الملـل والوحدة أجبراها على قبول الدعوة.

وفي إحـدى القصـور التـي ارتفع فيهـا صـوت النسـاء بالضحك، وتمايلهـن علـى الرجـال.كان أندريـا يقـف فـي شـرفة القصـر، وهو رجـل لا تبدو عليـه حقيقة سـنه وهو من أصـل لبناني، يرتـدي قميصا ملتـوي الأكمـام، يضـع قبعـة علـى رأسـه، وفـي فمـه سـيجار غيـر مشـتعل، وفـي أثنـاء وقوفه لاحـظ أدراسـتيا وهـي تخرج مـن إحدى السـيارات وتتجـه إلـى الداخـل، ظـل يحـدق بهـا ويتخيـل قصـة في خياله بطلتها تلك الفتاة الصغيرة.

دخـل إلـى غرفتـه وجلـس أمـام زجاجـات الخمـر المرصوصـة أمامـه وهـي ثلاثـة أنـواع: le montrachet, penfolds grange hermitage, massandra sherry.

اختـارت أدراسـتيا الوقـوف فـى زوايـة بعيـدة، ظلـت تراقـب الصخـب بصمـت وحيـرة؛ تـود أن تشـاركهم فـي الرقـص والخمـر ولكن فجأة وجدت عمار يقف أمامها ويبتسم لها.

عمار انت بتعمل أيه هنا ؟

مستر أندريا عزمني على الحفلة، كان بيجي لعيادتي وانتى شو بتعملي هون ؟

مدام أندروميدا تبقى خالتي.

انتي على هيك تعودتي على هيك مناظر، ليش قاعدة خايفة.

متعودة لكن بحس بغربة وعدم ارتياح.

بدأ الحضور يرقصون رقصة التانجو، عرضت أدراستيا على عمار الرقص ولكنه رفض تلك الرقصة تحديدا، علل سبب رفضه بإن التانجو بداية الطريق للرقص المنحط، بسبب الشهوانية غير القابلة للإنكار، ولذلك يتمّ رقصه في بيوت الدعارة، ومن ثمّ في المقاهي. ولأنّه يُعتبر غير لائق بالنساء المحترمات، اعتاد الرجال على أداء الرقصة مع أبناء جنسهم.

وبشكل أساسي يُعرف رفع الساقين المبالغ فيه، ممّا يترك مجالا كبيرًا للخيال.

شعرت بالحرج بعد رفض عمار الرقص معها وظلت صامتة.

قامت الخادمة بوضع زجاجة chateau lafite أمامهما وقامت بعدها بسكب الخمر منها وكان الكأس مجراها اليمينا.

بتعرفي يا أدراستيا أديش سعر هالأزازة الي قدامك ؟

أكيد غالية، 5000 $ مثلا ؟

ضحك عمار حتى سعل: لا أكتر.

20000 $ مثلا يعني؟

لأ سعرها 160.000 $ يابلاش.

ياخبرررررر متوقعتش أنها غالية كده، على كده انت خبرة فى الخمرة وبتشرب؟

«وكأس قد شربت ببعلبك، وأخرى فى دمشق وقاصرينا»، للأسف بحياتي ما شربت ولو نقطة خمر.

جاء أندريا ليسلم على أدراستيا وعمار قائلا لهما إنه أمر الخادمة بأن تسكب لهما تلك الزجاجة وقد اختارهما تحديدا من بين جميع الضيوف ليستمتعا معا بلذة السكر.

لاحظ عمار كيف ينظر أندريا ويلمح إلى أدراستيا بجمل مستترة تحمل نفس المعنى.

بتعرف ياعمار أنه أدراستيا لما كانت طفلة صغيرة كانت بترقص معي الومبا وكانت ترقص بشهوانية وكأنها شابة كبيرة

للتوضيح أصل رقصة الرومبا هو كوبا، وهي تعتبر، رقصة حبّ، أكثر من أي شيء. الإيقاع بطيء بالمقارنة مع الرقصات اللاتينية، وترمز الشريكة إلى حبيبة شهوانية، والتي لا تسمح

لشـريكها دومًـا أن يكمـل الليلـة برفقتهـا. تلـك رقصـة تقـف وراءها القصـة الدائمـة: إنّهـا تلعـب معـه، بينمـا يحـاول الرجـل الحصـول عليها.

أثـارت الجملـة غضـب عمـار و حـرج أدراسـتيا، ثـم رد عليـه عمار:

انت شـو شـارب اليـوم، طفلـة وبترقـص بشـهوانية لك تبـع أنهى منطق هاد ؟ أندريا فوت حدا من الضيوف بينادي عليك.

ظـل أندريـا جالسـا، حتى مل مـن قدرتـه على الانفـراد بأدراسـتيا ثم انصرف عنهما.

بتعرفـي نظـرات زوج خالتـك مـو طبيعيـة، تقريبـا طمعتـي فيكي الرجال بسبب الفستان يلي لابستيه.

وانا أيه ذنبي!؟، وبعدين أكيد ميقصدش حاجة.

عـرض عليهـا الرقـص، ولكن طلـب منهـا أن يخرجـا للرقص فى الحديقـة الخلفيـة حتـى يبتعـدا عـن هـذا الوسـط الـذي يمتلـئ بالسـكارى. مـرت أحـداث الليلـة سـريعا اتفقـا علـى أن يتقابـلا فـي اليوم التالي.

تحفة الإسكندرية الكلاسيكية مطعم «سان جيفاني».

فـي الطاولـة التـي تطـل علـى البحـر كانـت تجلـس أدراسـتيا مع عمار، مع استمرار العزف على البيانو في الخلفية.

فـي تلـك الليلة تحديـدا كانـت أدراسـتيا قد ارتـدت أحد فسـاتين جدتها الكلاسـيكية برانـد «louis vuitton» الفرنسـي والـذي يعود زمنه إلـى فتـرة السـبعينيات، منـذ دخـول أدراسـتيا المطعم وقـد تعرضت للكثيـر من أسـئلة السـيدات عن المـكان الذي اشـترت منه الفسـتان؛ وكـرد فعل طبيعـي منهن لـم يسـتطعن تصديق أدراسـتيا بشـأن حقيقة الفستان.

كان عمـار ينظـر بإعجـاب ملحـوظ إليهـا بالإضافـة إلـى أنهـا نجحت في أن تدير أعناق جميع الرجال الموجودين حينها.

كان ينظـر بابتسـامة خبيثـة لحجـم صدرهـا الصغير الـذي لم يكن متنسـاقا مع شـكل الفسـتان؛ ولكن تسـريحة شـعرها غطت هذا الأمر حتى أنه ليس من السهل اكتشاف الأمر.

..بتعرفـي يـا أدراسـتيا يـوم رحلـة الغـوص مـا كانـت أول مـرة بشـوفك فيهـا، تذكـرت هالقصة مـن حوالـي يوميـن ومتأكد أنـه انتي الي شايفها من قبل.

..حقيقي ؟ طيب أحكيلي!

..بعديـن أحكيلـك، هـلا أنا فرطـت من كتـر الجـوع فينا نـاكل؟، وبعدها تنوريني بمنزلي المتواضع!

..عمـار أنـت عـارف أنـه مبـدأ أنـي اجيلـك البيـت ده مرفـوض تماما، أنت فاهمني غلط.

..عزيزتي أدراستيا لو في حدا فينا فاهم الثاني غلط فهو أنتي مو أنا، على كلا ما راح أجبرك على شي وبوعدك عموما إذا وافقتي أني ماراح اتعدى حدودي أبدا معك.

تذكرت أدراستيا إحدى الأساطير اليونانية التي حكتها لها جدتها وهي صغيرة، كانت جدتها تخوفها وتحذرها من الاقتراب من الرجال؛ حتى لا تقع في الخطيئة ولا تتحول خصلات شعرها الجميلة إلى ثعابين مثلما حدث مع ميدوسا فى البدء كانت فتاة جميلة، تبهر كل من تراه بجمالها إلى أن وقعت فى حب بوسيدون، وقادها جمالها لارتكاب الخطيئة معه فى معبد أثينا.

وصل الخبر لأثينا فغضبت عليها، وقررت أن تحولها إلى امرأة قبيحة بشعة المظهر، وحولت شعرها إلى ثعابين، وبدأت ميدوسا تلقي بنقمتها على كل من يقابلها بمجرد النظر إلى عينيها، لتسيطر لعنتها عليه وتحوله إلى حجر.

نضجت ثمرة الخطيئة وأنجبت ميدوسا من بوسيدون، بنتين لهما نفس قدرة الأم على تحويل كل من ينظر لها بعينهما إلى حجر. ترسخت تلك الفكرة جيدا في رأس أدراستيا فكانت دائما تخشى الوصول لمصيرها.

نظرت إلى عمار وهو يأكل فبدأ ذلك الخوف يتلاشى تدريجيا من قلبها، فشعرت أنه ليس ذلك الوحش الذي سيقوم بتلطيخها؛ فكرت في أن تقبل دعوته وتذهب معه إلى المنزل.

..عمـار أنـا موافقـة أجـي معـاك بـس احلفلي أنـك مـش هتعمل حاجة تضايقني.

.. مـا اجتمـع رجـل وامـرأة إلا كان ثالثهمـا الشـيطان ياعزيزتـي، عـم امـزح معـك لا تخافي بعـرف اضبـط نفسـي منيح، عشـت وقت طويـل باليونـان ولا مـرة حاولـت أفـوت بطريـق الحـرام مـع أنـه المغريات كانت كثيرة بوقتها.

بعـد حوالـي سـاعة كانـت أدراسـتيا تقف فـي منـزل عمـار، لفت نظرهـا لـون الجـدران المطليـة بالأسـود والـذي يعكـس ذوق عمـار (ذلـك اللـون الـذي يسـتطيع امتصـاص كل الألـوان ولا يعطـي لونـا آخـر، إنـه لـون الملـوك حقـا)، يبـدو أن عمـارا يشـترك فـي ذوقـه الكلاسـيكي معها أيضـا فلقد شـعرت أنها تقـف بداخل منـزل جدتها القديم وما هذا الذي هناك!.

صرخـت أدراسـتيا بصـوت عالـي «الجرامافـون الضائـع»، عندك جرامافـون فـي البيـت أنـا بحياتـي دخلت بيـوت كثيـر مـن أصحابي بـس أول مـرة اشـوف حـد عنـده جرامافـون، شـغال ده ياعمـار ولا للزينة.

عزيزتـي أدراسـتيا حطـي الأسـطوانة الـي بـدك ياهـا وشـوفي. أمسـكت أدراسـتيا بإحدي الأسـطوانات بعد أن تفاجأت بـذوق عمار الذي يشـبه كثيرا ذوقهـا في الأغانـي، في البدايـة وجـدت العديد من أسـطوانات «خوليـو أكليسـايس» ظلـت تقلـب حتـى وصلـت إلـى أسطوانة لفرانك سنتيرا وقامت بتشغيلها.

Strangers in the night exchanging glances

Wond'ring in the night what were the chances

We'd be sharing love before the night was through

Something in your eyes was so inviting

Something in your smile was so exciting

.Something in my heart told me I must have you

صـوت فرانك الدافـئ مع إضـاءة منزل عمـار التي تجعلك تشـعر بالنوسـتالجيا إلـى حقبـة زمنيـة قـد مـرت، لطالمـا تسـاءلت هـل من الممكن أن يشـعر الإنسـان بالحنيـن إلى زمن لـم يعش فيـه، أن يحن لفترة لم يكن موجودا فيها إلا في العدم!

أدراسـتيا بحكيلـك شـغلة، فـي إحـدى ليالـي ديسـمبر الممطـرة وعندمـا كنـت فـي شـقتي التـي اسـتأجرتها أمـام شـاطئ العجمـي لمحـت فتـاة جميلـة عندما كنـت أقـف بالنافـذة مبللـة وعاريـة تماما وكانت تركض بخوف شديد هل تدرين من هي؟

..أنـا فعـلا وقتها كنـت بتجـري والموقـف ده حصـل معايـا، بس كنت فاكرة أن مافيش حد شافني.

أدراسـتيا ليش وجهك قلـب ألوان، انتـي خجلانة مني؟ ولا شـو؟، عمومـا محضرلك مفاجـآت كثيـرة الليلة، بـس دقيلهم عنـدك بالبيت حتى لا يقلقوا لأنك هتباتين الليلة معي.

عمار!، انت وعدتني أنه مافيش حاجة هتحصل.

عزيزتـي أدراسـتيا نيتك سـيئة، تباتيـن كل حـدا فينا بغرفة مسـتقلة ما راح أزعجك ولا أضغط عليكي، عموما دقيقة وراجع.

خطـر لأدراسـتيا أن تكمـل جولتهـا بالمنـزل لحيـن عـودة عمـار إليهـا، لاحظـت ذلـك الكائـن الصغيـر الموضـوع فـي أحـد المنازل الصغيـرة والتـي يتـم تصميمها خصيصـا للحيوانـات الأليفـة لقد كان هامسـتر «الروبروفسـكي»، وهـو مـن الأنـواع النـادرة التـي يصعـب الحصـول عليهـا، لاحظـت مـدى اهتمـام عمـار بذلـك الكائـن مـن خلال الشريطة البنفسجية على عنق الهامستر.

قامـت بإكمـال جولتها فـي المنـزل حتى وصلـت إلى حائـط عليه عـدد كبيـر مـن اللـوح والتـي تعبـر عـن الثـورة السـورية ومعانـاة الشـعب السـوري، لفـت نظرهـا لوحـة كبيـرة تتوسـط ذلـك اللـوح لامـرأة شـبه عاريـة؛ لاحظـت الاسـم الموجـود أسـفل كل لوحـة لم يكن إلا توقيعا لعمار!

إذن فهو من رسم تلك المرأة.

اسـتدارت أدراسـتيا لتجـد عمـارا يقـف وراءهـا ممسـكا بزجاجة الأوزو اليونانـي «وهـو شـراب مصنوع مـن عـرق العنب واليانسـون وغيرهـا مـن الأعشـاب نحـو 70 عشـبا ويحتـوي علـى نسـبة كحول لا تقل عن 37.5 ٪».

تعي نقعد شوية بصحبة الأوزو عزيزتي.

بس أنت قولتلي مالكش في شرب الخمرة وقت ماكنا في حفلة خالتي.

أي فعلا، بس الأوزو بسمع عنه أنه عالم ثان وهي المرة الأولى الي راح أجربه فيها، لما اشتريتا كنت حاكي لحالي لازم أشربها بصحبة فتاة يونانية جميلة يختارها قلبي وها أنتي غاليتي تنطبق عليكي المواصفات.

التفتت أدراستيا للوحة مرة أخرى وحدقت بها: امرأة يبدو عليها في الثلاثين، شعر ذهبي طويل، عينان خضراوان ضيقتان، وشفاه وردية رقيقة، تمتلك صدرا مغريا.

لاحظ عمار اهتمامها بتلك اللوحة، قام بإحضار كاسات صغيرة ثم قام بسكب الأوزو.

عمار مين الست الي على الحيطة دي ؟

أدراستيا تفضلي ياعزيزتي هي الكاسة لألك، من زمان ما شربت الأوزو.

من زمان! بس أنت لسه قايل من شوية أن دي أول مرة تشربه فيها!

اتسعت عينا عمار وابتلع قطرات الأوزو بارتباك واضح، وبدأت حبات العرق تعزو جبينه الناصع البياض.

صمتت أدراستيا وتذكرت نصيحة جدتها قديما «عندما تكتشفين كذب أحدهم استمري في التمثيل، ولا تخبريه أبدا

بمعرفتك لذلك، وتذكري أنه ليس من حقك معرفة أي شيء عن أي مخلوق دون إرادته فلا تحاولي التلاعب بالكلمات لتكتشفي أسرار من حولك».

امسكت بالكأس الصغير وبدأت تشرب.

حلمي أنك تظلي معي يا أدراستيا، حاسس حالي بحلم جميل.

استمتع باللحظة ياعمار ومتفكرش فالي بعد كده.

غناها خوليو من قبل «نعمت في دفء شاعريتك في ذلك الأحد.. لكن صقيع غيابك آلمني هذا الاثنين، وهناك أسبوع من الآلام ينتظرني.. لأنساه عند لقائي بك»، أدراستيا راح أهاديكي بشي بس دخيلك حافظي عليها منيح.

أغمضي عيونك بالأول وبعدي شعرك راح ألبسك ياها.

طالما قولت كده يبقى الهدية بتاعتك هي سلسلة صح ؟

مو بالمعنى الحرفي ثواني لبسك ياها.

عندما اقترب عمار منها شعر بقشعريرة تسري في جسده، ظل ينظر إليها بضعف حتى بعدما ألبسها إياها.

هلا فيكي تفتحي عيونك.

وجدت أدراستيا قلادة على هيئة قلب مصنوعة من أحد الأحجار الكريمة، لاحظت أيضا أنه يمكن فتحها، حينها لم تتردد في ذلك ولكنها لم تجد أي شيء.

أدراستيا ثواني اطفي الضوء لأنها بتشتغل في الظلام فقط.

قام عمار بإطفاء الضوء، ليخرج من القلادة نور شديد القوة يتدرج في الألوان من بنفسجي إلى أزرق إلى أبيض ويتخللهما طيف لامرأة ترتدي ثوبا.

عمار أيه دي!؟

هي القلادة كانت عطتني ياها غجرية بأسواق أثينا، ست كانت قاعدة بزاوية لحالها شافتني وقالتلي أنه هي القلادة سحرية، فكرت في البداية أنه بتعمل هيك لتعلي سعرها ولكن عطتني ياها مجانا واصرت أنه ماتاخد مصاري؛ وقتا سألتا أي نوع من السحر بتقوم بيه هالقلادة.

خبرتني أنه وقت ماتكون حاسس بضباب وعتمة بحياتك وعاجز عن اتخاذ القرار الصحيح، فورا طفي الضوء من حولك وافتحها وأطلع على طيف المرأة، هي المرأة يقال أنه قديما كانت تشتهر بالحكمة، وكان أهالي كريت يلجأون لها وقت ما يصير معهم مشكلة.

..عمار أنت مؤمن بالكلام الي بتقوله ده.

..بغض النظر أنه مؤمن ولا لأ، بس هي القلادة ساعدتني في كتير اشيا، عموما ظلك تذكريني ومهما يصير بينتنا وسواء الله قدر نكون لبعض أو لا (لا تفرطي فيها)، هلا أنا فرطت نعس

على النوم عزيزتي، نيالك راح تنامين اليوم بغرفتي أما أنا فراح أنام بالغرفة المجاورة.

..طيب ليه متنمش في اوضتك وانام أنا في الاوضة التانية.

..لأنه ببساطة سرير غرفتي مريح أما الغرفة الأخرى راح تدعين علي وأنتي ضيفة والواجب هو إكرام الضيف.

أدراستيا حاسس عندك فضول تعرفي قصة المرأة يلي بالصورة، راح أحكيلك القصة ببساطة:

قررت الارتياح من عناء عملي بأثينا والسفر إلى أيطاليا، ولكني وقعت في أنياب حيرتي هل أذهب إلى روما القديمة وأستعيد أمجاد القياصرة والأباطرة، أم أتغنى بسحر ميلانو وفلورنسا، وماذا عن تحفة شكسبير البندقية.

الحقيقة أنني لم أكن سوى دمية ماريونت في يد القدر حينها، وجدتني أحجز فندق «يوروستارز اكسلسيور» في مدينة نابولي؛ ولا تسأليني عن سر اختياري لتلك المدينة تحديدا فكما قولت لكِ سابقا أنه القدر عزيزتي.

كنت أمتلك خيارين: السفر بالطائرة أو القطار، ولكن تشاء الصدف أن تجعلني أحجز إحدى العبارات للسفر.

الطريق الأسرع بين اليونان وإيطاليا هو من إيغومنيتسا الي بريندیزي مع مدة عبور حوالي 7 ساعات.

كانـت رحلتـي البحرية مليئـة بالأحـداث الغريبـة، لم أكـن ألتفت لأي من الـركاب كنـت أقضي وقتـي متأمـلا ومسـتمتعا بـرذاذ الملح الأبيـض الـذي يتحطـم علـى جـدار سـفينتنا. فـي الوقـت الـذي يسـتمتعون فيه داخـل الحانات وقت اسـتراحة السـفينة كانـت عيناي تظـل تحـدق فـي مشـهد الأمـواج و الرغـوة؛ لـم أسـتطع أن أحـرم رموشـي وشـفاهي من تـذوق الملـح الأبيـض وعلـى الرغم مـن قوة البحر العاصف لم أستطع أن أمنع نفسي من القفز فيه.

عادت رحلتنـا بعد قليـل وكانت ليلة شـديدة العواصـف؛ فوجئت حينها بمن تطرق باب غرفتي؛ لقد كانت السيدة العجوز «هيرا».

مرحبـا مسـتر عمـار، أرجـو المعـذرة ولكننـي حلمـت بـك منـذ قليل وأخبرني حدسي أن أذهب إليك هل أنت مستيقظ!؟

لا عليكِ سـيدة «هيـرا» نعـم أنا مسـتيقظ، تعـودت علـى النوم في وقت متأخر من كل ليلة.

كنت أود سـؤالك «هـل ولدت لحظة كسـوف الشـمس»؟ تفاجأت حينها من السؤال، كيف عرفت ذلك!؟

نعم هذا حقيقي.

كـم أنـا أشـفق عليـك مسـتر عمـار، فهـؤلاء الذيـن ولـدوا لحظة كسوف الشمس يمتلكون قدرا شديد التعاسة والفوضوية.

سـيدة «هيرا» أنا رجـل مسـلم الديانـة ولا أؤمن بتلـك الخرافات، القدر وحده في يد الرب.

نعـم نعـم أنـا أحتـرم ذلـك ولكنـي أؤمـن كثيـرا بحديـث النجوم والأحـلام؛ ألا تؤمـن بعالم الأحـلام! ربمـا إذا حكيت لـك الحلم قد تفهـم مـا أعنيـه. «أعلـم أنـك ترانـي عجـوزا كبيـرة ذهـب جمالهـا لا أمتلـك هـذا الشـعر الأشـقر الجميـل أو الجلـد العاجـي وربمـا تشخصني أيها الطبيب أنني مصابة بمتلازمة ديوجانس.

لا يا سـيدتي فأنت مازلـتِ تحتفظين بإكسـير الجمال علـى الرغم مـن تقـدم العمـر بـك، كمـا أننـي كطبيـب أسـتبعد كونـك مصابـة بمتلازمـة ديوجانـس فمـن أعراضهـا «الإهمـال الشـديد للـذات» أما أنت فتبهرين النساء في السفينة كل يوم بفساتينك باهظة الثمن.

أخبرنـي يـا عمـار، ألـم تحـاول يومـا فهـم الحيـاة والكـون مـن حولك؟

لا ياسـيدتي أنا أؤمـن بنظرية العبثيـة فمجهودات الإنسـان لإدراك معنى الكون دائماً ما تنتهي بالفشل الحتمي.

إذا دعنـي أقـص عليـك الحلـم، لقـد كنـت حبيسـا داخل شـجرة دردار عملاقة تمتلك تسـعة فـروع لهـا، كان «الرمـادي المظلم «وهو ثعبـان ضخـم يتفقـد فـروع الشـجرة كل يـوم؛ ويقتـرب منهـا وهـو يصدر فحيحـا لأنه يشـعر بوجـود نبـض داخل تلك الشـجرة (يشـعر بوجودك فيهـا)، لقـد كنت تمسـك بمـرآة وأنت فـي أعماق الشـجرة وتنظر بحسـرة إلى تلـك الفتـاة الجميلة صاحبـة الشـعر الأحمر وهي تبكـي فـي الأرض المحرمـة (فالداخـل فيهـا مفقـود والخـارج منهـا

مولود) وهـي أرض حالكة الظـلام شـديدة الضباب، والفتـاة متجردة فيهـا مـن ثيابها تجلـس علـى أرضهـا شـديدة البـرودة والثلـج؛ يظهر لك فـي المرآة بعدها كائن أسـود شـديد القبـح يعدك بإنقـاذ جميلتك مقابـل أن تسـاعد أرضـه فـي محاربـة الشـمس؛ فسـكان عالـم هـذا المخلـوق يتحولـون لحجر عنـد تعرضهـم لهـا، بعدها بدقائـق يظهر لـك أحـد الكائنـات العملاقـة التـي تشـبه الوحـوش الأسـطورية في حكايـات التـراث والميثولوجيـا القديمـة، يطلـب منـك محاربـة الثعبـان الضخم حتـى يموت ولكـن سـيكلف موته دمـارك وهلاكك أيضا ولكن سيتم إنقاذ حوريتك من العالم المحتجزة فيه».

انتهـت السـيدة العجـوز مـن قـص الحلـم وأنا لـم أتمالك نفسـي من الضحك، ضحكت حتى سعلت من قصتها الخيالية.

سـيدة هيرا، هـل تعلمين أن هـذا الحلـم يصلح ليكون قصـة لفيلم من أفـلام هوليـود؛ شـجرة أسـطورية وثعبـان وفتـاة جميلـة محتجزة في الأرض المحرمة والمطلوب مني إنقاذها.

أرجو المعـذرة يا سـيدتي لا أقصد الإسـاءة ولكن ما هـي الدروس المسـتفادة مـن تلـك القصـة!؟ عمومـا سـأرضي رغبتـك وسـأنتبه وأبتعد عن الأشجار حتى لا تبتلعني.

وصلـت نابولـي أخيـرا، وذهبـت إلـى الفنـدق لأرتـاح من مشـقة السـفر اسـتلقيت علـى سـريري الجديـد وأغمضـت عينـي بانتظـار اللحظة التي سأستيقظ فيها لأقوم بجولتي في نابولي.

شعرت بخيوط الشمس تتسلل إلى غرفتي مع ارتفاع نغمة هاتفي المزعجة، وضعت الوسادة فوق رأسي كي أتخلص من تلك الضوضاء ولكنني قفزت مرة واحدة من السرير عندما تذكرت أنني أضيع وقتي في نابولي الجميلة بالنوم.

يطل فندق اكسلسيور على خليج نابولي، ويضم تراسًا ومطعمًا على السطح.

ارتديت ملابسي وكنت قد اخترت بدلة كلاسيكية سوداء من البراند الفرنسي «Saint Laurent» مع رابطة عنق حمراء، خرجت من غرفتي وأنا بكامل أناقتي وذهبت إلى المطعم الموجود على سطح الفندق.

بدأت يومي مع الكابوتشينو والبريوش المدهون بالمربى، كنت أرتدي نظارتي الطبية وأتصفح أحد الكتب في يدي، وقع نظري على المرأة الجالسة في الطاولة التي أمامي، وجدتني أحدق بها بعد أن لمحت الكتاب الذي تحمله بين يديها؛ إنها تقرأ نفس الكتاب الذي أمسكه بيدي.

فبدأت في محاولة التركيز بملامحها، امرأة تبدو في الثلاثين فأنوثتها مكتملة إلى الحد الذي يستفز رجولتي، كان شعرها منسابا على كتفيها و تشبه كثيرا اللوحات الرومانية القديمة ولكن لسبب ما خمنت أنها فرنسية وليست إيطالية.

وجدت عينيها تتحرك في المكان بحثًا عن شخص ما عندما التقت أعيننا بإبتسامة.كانت تنظر بدهشة عندما لاحظت الكتاب

الـذي أحملـه، تفاجأت عندمـا وجـدت أنها تركـت مائدتهـا وجاءت لتجلس معي.

أدعـى فرانسيسـكا فـي السـابعة والثلاثيـن مـن عمـري وأنـت؟ قالتهـا بلهجتها الفرنسـية، لقـد كان تخمينـي صحيحا، شـعرت بحالة مـن الــ euphoria المفرطـة بسـبب نبـرة صوتهـا وملامحهـا، ولكـن تعجبت كثيرا من عمرها؛ ظننتها أصغر بكثير.

أنا عمار سوري الجنسية وأعمل طبيبا عمري 25 عاما.

لـم أعتقـد أنـك صغيـر فـي السـن إلـى هـذة الدرجـة!، عمومـا سـررت بك. لاحظـت أنك تقـرأ روايـة «سـفينة الملـذات» وللصدفة أنني أحمـل نفس الروايـة ؛ ما رأيـك في أن تكـون ضيفي لمـدة ثلاثة أيام في مرسيليا!

«لن أسـألك لمـاذا اختـرت ثلاثة أيـام على وجـه التحديـد ولماذا لم تحـددي أسـبوعا أو شـهرا، ولكن سـؤالي «لمـاذا مرسـيليا وليس باريس!؟»

«باريـس باريـس، أنـا اكـره باريـس؛ يراهـا النـاس عاصمـة النـور والجمـال ولكنـي لا أشـعر إلا ببـرودة جوهـا؛ وفـي كل مـرة أشـاهد بـرج إيفـل أشـعر بالغضـب لعجـزي عـن تسـلقه، إنهـا نظيفـة تمامـا وبـدون روح. مازالـت أراهـا تلـك المسـتوطنة الموجـودة أمـام نهـر السـين؛ لو أنـك قـرأت تاريخ تلـك المدينـة بدءا مـن يوليـوس قيصر الـذي أعطاهـا جـزءا مـن الطابـع الرومانـي رمـادي اللـون، مـرورا

بالموت الأسـود وانتشـار الطاعون وحـرب المائة عامة؛ لقد كرسـت حياتـي فـي دراسـة التاريـخ وقـد أوجعنـي تاريخ باريـس كثيـرا حتى أننـي لا أبصـر فيهـا هـذا الجمـال، أمـا بالنسـبة لسـؤالك لمـاذا ثلاثة أيـام، أنـا أمـرأة خلقـت مـن الملـل أمـل مـن النـاس بسـرعة وأحب مقابلة أناس مختلفين كل يوم».

أثارت بكلامها رجولتي شعرت بأنني أغلي من الداخل.

ما رأيك إذا عقدنا أحد التحديات بيننا ؟

ومـاذا سـيكون التحـدي، هـل هـو عـن إمكانيـة إمتـلاك قلبـي وجعلي أتعلق بك؟

سـأراهنك يـا فرانسيسـكا علـى ما هـو أغلـى عنـدي مـن الزمرد، سأراهن على عمري لو فزت سأنتحر بسم الأكونيت.

موافقـة علـى شـرط أن تنتحـر بسـم الأكونتيـن؛ فأنـت تعلـم أن السـم الـذي اخترتـه أنـت يوفـر انتحـارا هادئـا بـدون ألـم، أمـا الأكونتين سيجعلك تتعذب قليلا!

وأنا موافق!

كانت تصرفاتها غريبة تثير ريبتي في أحيان كثيرة!

علـى سـبيل المثال فـي اليـوم التالي مـن تعارفنـا، وجدت رسـالة مـن حسـاب وهمـي علـى «الفيـس بـوك»، عبـارة عـن رابـط لأحـد البرامج والذي ينص على التالي:

دليلك الجنسي في نابولي نصائح حول أماكن إيجاد الخدمات الجنسية، العاملات في مهنة الجنس، الدعارة، بائعات الهوى المُتجولات، بيوت الدعارة، أماكن الأضواء الحمراء، صالونات التدليك الجنسية، نوادي التعري و فتيات الاتصال في نابولي.

تساءلت بيني وبين نفسي: من يعرف بمكان وجودي بنابولي! علمت لاحقا أن فرانسيسكا هي صاحبة الرسالة.

أخبرتني في اليوم التالي أنها ستأخذني في جولة داخل نابولي؛ لأنها اعتادت على المجيء إلى هنا كل سنه تقريبا.

عمار عليك الانتباه «قالتها بعدم اكتراث وهي تشعل سيجارتها».

«عليا الانتباه من ماذا!؟»

«الغالبية العظمى من بائعات الهوى العاملات في شوارع نابولي لا يستخدمن الواقي الذكري أو أية وسيلة حماية أخرى، لذلك عليك أن تكون حذراً وتتخذ أساليب الوقاية من الأمراض المنقولة جنسياً. إلى جانب إنتشار حالات السرقة والنهب التي تقوم بها بعض بائعات الهوى».

«هل تمزحين معي!، وما لذي سيجعلني أتعامل مع بائعة بغاء!، فرانسيسكا أنا لا أؤمن بحرية الفرد في إقامة علاقات خارج حدود الزواج، لأن ديني يطلب مني هذا ومن بعد الدين العلم: اقرئي من فضلك عن الأضرار النفسية والجسدية التي

تلحق بالرجل أو المرأة إذا مارسا الجنس بحرية واسعة؛ إنها لذة تستمر للحظات ويعقبها ندم طويل. أخبريني هل تلاحظين كل هؤلاء الأطفال في الشارع ليس في نابولي فقط بل في جميع دول العالم؛ إنهم ضحايا. وبالنسبة لي فأنا أرى أن الجنس هو تلك العلاقة الدافئة بين الرجل والمرأة في حالة الحب والاحترام؛ ولكنه يصبح في بعض الأحيان إدمانا على الفعل الجسدي والخيال وليس الشخص؛ وهذا في وجهة نظري خطأ».

«عمار كم أنت مسكين، أتظنني امرأة منحلة أو تمارس العلاقات مع أي شاب تقابله «أنت مخطئ». الفرق بيني وبين أي امرأة قابلتها أنني منفتحة على الحياة، أتقبل كل الناس بجميع أفكارهم وميولاتهم حتى لو كانت ميولاتهم شاذة وغريبة على المجتمع. عموما اسمح لي أن اصطحبك في جولة صغيرة في نابولي الجميلة لا بد أنك لم ترها بعد الحادية عشر مساء».

اصطحبتني فرانسيسكا إلى سباكانابولي القديمة إلى الجانب الغربي فيها. وتعتبر ساحة غاريبالدي هي الجزء الفوضوي والمكتظ في نابولي، خلال ساعات النهار هنالك الكثير من المحلات التجارية، الباعة و الأزمات المرورية، بينما في ساعات المساء عندما يحل الظلام تصبح أحد مناطق الأضواء الحمراء.

وفي الواقع أن مناطق الأضواء الحمراء في أوروبا بصفة عامة هي أماكن للدعارة والجنس، تفاجأت كثيرا بتلك المنطقة بعد منتصف الليل ولقد كان ما أراه في الشارع فوق طاقتي.

هنالك عدد قليل من نوادي رجال الأعمال وبعض حانات التعري في نابولي. غالبية النوادي تحتوي على رسوم لدخولها، المشروبات الكحولية بها أعلى ثمناً من الحانات التقليدية، لكن بإمكانك اصطحاب الفتيات من هذه النوادي معك، مقابل 150–300 يورو للساعة الواحدة.

لقد رأيت في تلك الليلة الوجه الآخر لنابولي وهو وجه العاهرة القبيحة.

في اليوم التالي انتظرت المساء وذهبت إلى منطقة Domiziana كانت أحد الأماكن المشهورة بتواجد بائعات الهوى بها سابقاً، ولكنني كنت محظوظا عندما وجدت بائعة هوى أمامي كانت صاحبة بشرة سمراء جاءت من أفريقيا.

أعطيتها مبلغا كبير من المال فوق ما طلبته 500 يورو؛ ولكنني طلبت منها إجراء حديث معها بدلا من تأجيرها لمدة ليلة.

ما هو اسمك؟!

سمانثا، ولكن لماذا يهمك اسمي!

أعلم أن هذا ليس اسمك الحقيقي ولكن أخبريني هل أنت سعيدة بحياتك على هذا النحو!

نعم حياة العاهرة ممتعة ومليئة بالمغامرات والأموال.

وماذا عن احترام الذات!؟

انظر يا سيدي قد تكون تلك هي المرة الأولى التي سأنطق بها بمثل هذا الكلام؛ ما يحركنا ناحية الدعارة ليس البحث عن المال فلقد أتيحت لنا الفرص للعمل الشريف. ولكن ما يحركنا هو اليد العليا؛ عصابة الرقيق الأبيض الموضوع لا يتوقف عند حب الشهوة والمال هناك كواليس ليس بإمكانك تخيلها أو معرفتها.

تجارة الرقيق! كيف نسيت هذا الأمر «لقد زاد كرهي في تلك الليلة لنابولي وإيطاليا وجميع دول أوربا، شعرت بقذارة هذا العالم الذي يدعي احترامه للمرأة وهو أول من يتعامل معها كأداة للجنس والملذات.

اختيار فرانسيسكا للهدايا كان أيضا غريبا؛ أذكر أننا قد خرجنا في أحد الأيام إلى مطعم «L'Antica Pizzeria da Michele» وهو مطعم بيتزا تاريخي يقع في وسط Condurro.

لقد كان مستوى الأندروفين، الدوبامين وكذلك سيرتونين يرتفع عندي في كل مرة أذهب لتناول البيتزا.

جعلتني تلك المرأة مدمنا على محلات البيتزا؛ لم تترك مطعما في نابولي ألا وقد اجتذبتني نحوه.

كنا نجلس في تلك الليلة وبعد الانتهاء من البيتزا، وجدت فرانسيسكا تخرج من حقيبتها صندوقا وطلبت مني فتحه.

وجدت بداخله إحدى النباتات أزهارها قمعية على شكل جرس بلون مخضر إلى بنفسجي، ثمارها على هيئة عنبات ذات لون أسود.

Atropa belladona!

ذكرت الاسم وأنا في حالة من الذهول!، فالأتروبا بيلادونا من أكثر النباتات السامة؛ يشكل التوت أكبر خطر على الأطفال لأنه يبدو جذابا وله طعم حلو نوعا ما.

إن استهلاك 2-5 من التوت من قبل الكبار قاتل.. و ابتلاع ورقة واحدة من النبات يمكن أن تكون قاتلة لشخص بالغ.

اسم أتروبا مشتق من الإلهة اليونانية أتروبس، واحدة من ثلاث من المصائر اليونانية ثلاثة التي تحدد مسار حياة الإنسان عن طريق نسج الخيوط التي ترمز إلى ولادته، والأحداث في حياته، وأخيرا وفاته، حيث تستخدم النبته لقطع هذه الخيوط عند وفاته.

تعجبت كثيرا ما سر اختيارها لتلك النبتة حتى تهديها لي!

«فرانسيسكا، هل تعلمين إلى أي درجة يعد هذا النبات مميتا!»

«بالطبع أعرف، ولكن خطر لي سؤال منذ عدة أيام أتعلم القصة الشهيرة لتلك النبات: لقد استخدمها الرومان القدماء كنوع من السم (زوجة الإمبراطور اوغسسطس وزوجة كلوديوس

كلاهما كان يشاع أنهما استخدمتاها للقتل)، وسبق ذلك استخدامها لصنع رؤوس السهام المسمومة».

«هل جلبتِ لي النبات لتعطيني درسا في تاريخة ؟»

«لا بل لأسألك إذا كان من الممكن أن يضعوه على رؤوس السهام المسمومة قديما؛ هل يمكن اليوم أن نضعه لأحدهم في كتابه المفضل مثلا وهو يقرأ!»

فرانسيسكا! ما الذي تنوين؟

«بالطبع أنا لا أخطط لجريمة قتل، ولكن سيدي الطبيب إنها مجرد هدية لتؤنس وحدتك في غرفتك بالفندق! لقد أعددت لك مفاجأة أخرى:

أعطتني ورقة، لقد حجزت لنا ثلاثة أيام في ميلانو!

ميلانو! أنا لا أريد الخروج من نابولي».

عمار! إن تلك هي المرة الأولى التي تأتي فيها لإيطاليا، ولم تتوقف عند هذا الحد بل أسأت الاختيار، وتركت جميع مدنها لتذهب إلى نابولي بشوارعها القذرة لقد تعمدت أن أريك حقيقة تلك المدينة عندما تنطفئ الأضواء.

كانت فرانسيسكا امرأة تحب السفر كثيرا، كانت من النوع الذي لا يطيق البقاء في نفس المكان لمدة تزيد عن أسبوع. أعجبتني بشخصيتها الفريدة، كم يعشق الرجل تلك المرأة

المجنونـة التي تمسـكه من يـده وتجره معهـا إلى كل شـئ «المغامرة، الجنس، الرقص وكل ما هو مثير وجديد».

ميلانو خاطفة القلوب: إنها تناسب ميولك يا عمار سترى ذلك.

تعـودت علـى الالتـزام بوعـودي وشـعرت بشـيء مـن الضعـف والخوف؛ ماذا لو فازت «فرانسيسكا» بالتحدي!؟

مـر اليوم سـريعا؛ نزلت لأشـتري بعض الأشـياء والمنتجـات التي سأحتاجها في خلال أيام إقامتي.

وعندمـا جـاء الليـل وقفـت فـي شـرفة غرفتي، نظـرت بجـواري لأجدها نائمة في الشرفة الخاصة بالغرفة المجاورة لي.

كانـت «فرانسيسـكا» امـرأة مثيـرة، وكرجـل شـرقي لم أعتـد تلك الملامـح مـن قبـل؛ الأمـر لا يتوقـف علـى الجمـال الخارجـي فقط فهناك مصطلح «الكارزيما» لقد كانت تجتذب عيني من مكانها.

هـل هبطـت مـن السـحاب! أم أنهـا خرجـت كأفروديت مـن زبد البحـر ومـاذا عـن أسـطورة «النداهـة» التـي سـمعناها فـي الأفـلام المصرية قديما!؟ إنها تبدو وكأنها أصابتني بلعنتها.

كانـت نائمـة وهـي ترتـدي فسـتانا قصيـرا، ومـع نسـمات الهـواء كان القماش يلتصق بجسدها فيظهر أنوثته.

شـعرت فجأة بارتفاع كبير فـي التستوسـتيرون لـدي؛ دخلت فورا إلى غرفتي.

أمسكت بهاتفي وللصدفة وقعت أمامي تلك الآية القرآنية: فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ❋ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59)؛ تذكرت نصيحة والدتي العجوز بداية الضعف أمام الشهوات تبدأ بترك الصلاة فورا قمت لأتوضأ ثم وضعت أمامي سجادة الصلاة.

في اليوم التالي: سمعت صوتا يطرق باب الغرفة؛ لقد كان أحد الموظفين بالفندق أعطاني ظرفا وانصرف.

لم يكن الظرف المقفول سوى: دعوة لرحلة إلى جزيرة كابري الإيطالية وكما توقعت أنها مرسلة من فرانسيسكا.

لم أعهد نفسي بهذا الضعف ولكنني وافقت على دعوتها على الفور.

في اليوم التالي عند وصولنا للجزيرة ومع أول نظرة خاطفة على الأفق دون ضباب السخط. عالم يرجعني إلى أيام الطبيعة الاولى، والعقل مفتوح على جمال هذا الواقع، يأتي شعور الدهشة. يشبه شعور الطفل عندما يلعب مع كلب صغير لأول مرة بحياته، أو رؤية ورقة تتحرك في مهب الريح. «زهور الأقحوان» تحيط بنا أردت انتزاعها ولكن فرانسيسكا منعتني من ذلك.

فرانسيسكا أنا أدين بالاعتذار لكل مرضاي الأعزاء؛ ولكل مريض على سطح كوكبنا.

لماذا؟ ألم تقم بتأدية واجبك كطبيب على أكمل وجه.

كيف كنت أصف لهم الأقراص وأدوية الشراب، تلك السموم سيئة الطعم والرائحة كان يجب أن أكتب لهم «كابري الإيطالية» في وصفة العلاج.

يبدو أنك تعالج الأغنياء فقط!، هل يقدر هؤلاء على ثمن تلك الرحلة!؟ المهم عليك أن تكف عن فلسفتك وتأتي معي هذا هو الوقت المناسب!

إلى أين!؟

مغارة «أزارو»، ألا تحب مشاهدة حوريات البحر والشياطين والكائنات الأسطورية!

...هل تمزحين؟

«بالطبع أمزح لا يوجد شياطين، سنذهب إلى الكهف الأزرق وهو كهف نصف مغمور بالمياه مضاء بضوء أزرق غريب. سنستأجر زورقا ليأخذنا في جولة داخل الكهف».

«ألا تشعرين أنها فكرة مرعبة بعض الشئ!؟»

«بالفعل مرعبة وهل تعلم ما هو الأكثر رعبا؟! أفضل أوقات زيارة الكهف ما بين الظهيرة والساعة الثانية حيث يخترق الكهف شعاع قوي من النور يتيح لك الرؤية، والآن الساعة تدق الخامسة والسماء مليئة بالغيوم؛ هل تعلم ما معنى هذا ؟»

يبدو أن سمك قشرة منطقة المخ المسئولة لديكِ عن اتخاذ القرارات ضعيف! وهذه ليست مزحة؛ يمكنك فتح جوجل الآن والبحث في المجلات العلمية ستجدين كلامي صحيحا.

»عمار لم أتوقع أنك شخصية روتينية إلى هذا الحد، كن مغامرا وتوقف عن التردد!«

أمسكت بيدي وبالفعل نجحت في إقناعي؛ كان معنا رجل في منتصف الخمسينيات يجدف لنا، وعندما اقتربنا من الدخول اضطررنا جميعًا إلى انزال رؤوسنا دون مستوى القارب، بينما سحبنا قبطاننا إلى الكهف باستخدام سلاسل متصلة بالجدران الصخرية. إذا لم نكن منخفضين بما فيه الكفاية، فقد نخاطر بوجود صداع لطيف لبقية اليوم.

الحياة، البدر، الزمرد، وحتى النبض لا يحملون أي تأثير أو معنى في مكان لا يزال فيه الوقت ثابتًا حتى نخرج. »ما الذي ينتظرني الآن، بداخل تلك الصخرة« أمسكت يد فرانسيسكا ولكنني أبعدتها عني مرة أخرى، خجلت من أن يتسرب إليها شعور الخوف عندي.

أضاءت فرانسيسكا المكان إلى حد ما بأحد الكشافات التي أحضرتها للمكان؛ فوجئت بأنها تخرج أنابيب الأكسجين من حقيبتها وبعض الملابس كانت تبدو كملابس الغوص!

»فرانسيسكا، لا تمزحي معي! ما هذا لا تقوليها لا لا تقوليها«.

«كن شجاعا أيها الطبيب وهي لنحلق في سماء تلك المتاهة!»

«أتقصدين أن نغرق؛ ترعبني فكرة الكهف وأنت تزيدينها رعبا بطلبك!»

وفي أقل من دقيقة ارتدت ملابس الغوص ووضعت أنبوبة الاكسجين وقفزت من فوق القارب، شعرت بالخجل من نفسي كرجل فلحقتها بعد دقائق.

كان من المستحيل قياس العمق، والأكثر صعوبة هو إيجاد فرانسيسكا في هذا الظلام يمكن أن تكون الصخور الموجودة أسفل الأرض عشرة أقدام أو خمسين؛. وبدلاً من ذلك حاولت التخمين من درجة حرارتها، فالمنطق أن المياه العميقة ستكون أبرد؛ وجدت من يمسك خصري من الخلف.

يبدو أنها فرانسيسكا، وضعت يدي لأمسك بها ولكنها جرت مني؛ لا أستطيع الرؤية وهذا الشيء يشعرني بالعجز والخوف خرجت سريعا ولكن لوهلة كاد قلبي يتوقف عن النبض لا أثر للقارب! لا يوجد سوى حقيبة فرانسيسكا التي تطفو على سطح الماء.

لم تكن فرانسيسكا سوى امرأة مختلة، وقد تعودت على دعوة الرجال إلى الكهف الأزرق ثم تركهم بعدها!

***

الفصل السادس

Σαντορίνη

سانتورِيني

دخلت غرفة جدها، وبدأت رحلة بحثها عن القلادة، فتشت في جميع أغراضه «الملابس، السرير، الكتب»، ولكن لا فائدة!

جلست محاولة التفكير، ثم سألت نفسها «لو كنت مكان جدي، أين كنت سأضع القلادة ؟»

البيلادونا!، قالتها بتركيز؛ تذكرت مدى اهتمام الجد بتلك النبتة السامة، وكيف أنه كان يخبيء أغراضه الخاصة فيها قديما. علل ذلك وقتها «من الذي سيفكر، في البحث بجوار نبتة سامة عن أغراضي الشخصية يا أدراستيا!»

ضحكت بصوت عالي، وصاحت «أنا أيها الرجل العجوز».

فتحت باب الشرفة، ونظرت إلى تلك النبتة، نظرت إليها وقالت «يا بيلادونا، العلاقة بيني وبينك لم تتوقف عند مادة العقاقير، هيا أخبريني أين وضع جدي تلك القلادة ؟» وضعت

يدها بجـوار البيلادونـا، وظلـت تتحس تربتهـا؛ حتى شـعرت بالفعل بأن هناك شيئا مدفونا بالداخل.

حاولـت الحفر بيديهـا، ولكن التربـة كانت قويـة جدا؛ نـادت حينها على نقفـور، وطلبـت منـه المسـاعدة؛ كلفهما ذلـك القضاء علـى حياة البيلادونا؛ فجذورها كانت عالقة بقوة بداخل تلك التربة.

تذكـرت أدراسـتيا الحلـم، عندمـا وجـدت نقفـورا يخـرج دميـة صغيرة جدا «ترتدي قلادة»!.

يبدو أن تلك الأحلام، كانت على اتصال قوي بالواقع!

فتحت القـلادة لتجد أنهـا تحـوي أوراقـا كل ورقة هـي واحد من الأولمبيـون الإثنـا عشـر و هـم الآلهـة الكبـرى فـي مجموعـة الآلهة الإغريقية.

تسـاءل نقفـور بحيـرة عـن فائـدة تلـك الأورق!، ثـم وجـه إليهـا سؤاله «هل أخبرتكِ والدتك عن كيفية عملها؟»

ردت عليه: «أنها في انتظار زيارتها القادمة».

الليلة هي ليلة الخميس، وهو موعد زيارتها الأسبوعية.

ها قد بدأت رحلة الحلم:

وجدت أدراسـتيا نفسـها مع عمـار، حيث ذهبـا للصيد فـي الغابة، وخـلال مطاردتـه لخنزير بـري توفي عمـار، الحلـم كان غريبـا، تلك هي المرة الأولى التي لا تأتي فيها والدتها!

اكتشفت في الحلم، أن شهابا قد تنكر بهيئة خنزير بري وهاجم «عمار»، وعندما هاجمه تلقى إصابات بالغة الخطورة، حاول عمار الرد على شهاب برمحه لكنه كان قد نطح بقوة بأنياب الخنزير الكبيرة، سارعت أدراستيا بعربتها إلى عمار لتنقذه، لكن الأوان كان قد فات، فروحه رحلت إلى العالم الآخر، شعرت بالحزن عليه، على الرغم من معرفتها أن هذا لا يتعدى كونه حلما. حزنت على رحيل حبيبها عمار، بكت فوق جثته وامتزجت دموعها بدمائه، رشت رحيق الأزهار على جثته وحملتها إلى خارج الغابة، حينها نشأت شقائق النعمان من دماء عمار على الأرض الممزوجة برحيق الأزهار ودموع أدراستيا، ومن كل قطرة دم نشأت زهرة قرمزية، والرياح التي هبت وقتها تسببت بتفتح هذه الأزهار وسرعان ما تطايرت بتلاتها القرمزية مع الرياح ونشأت زهرة الأنيموني وترجمت إلى زهرة الرياح، فالرياح جلبت الحياة إليها.

في نهاية الحلم، وجدت والدتها تقف أمامها، قالت: «إن عمارا قتل في الحقيقة، وأن عليها نسيان ذكريات الماضي، بأن تستبدلها بمحبة شهاب».

تساءلت أدراستيا: أين عمار!، وكيف ستحصل على محبة «شهاب»؟

«استخدمي قلادة جدك!»، استدعي «أفروديت» بورقتها الخاصة، سوف تنادي على ابنها «كيبويد» ليقذف سهامه داخل قلب شهاب!

حطمت كلمات والدتها أنوثتها، ستحصل على قلب «شهاب» بمساعدة إلهة!الإغريق.

تذكرت جملة والدتها، وتساءلت فجأة «أين عمار» ؟ لقد اختفى فجأة بدون مقدمات من حياتها، مر ما يزيد عن أربع سنوات من لحظة انسحابه من حياتها!

يقولون بأن جنيا يعيش في الحمراء.. يتجول طول الوقت عاشقا، باحثا عن ملكة مسلمة وعندما يظهر القمر يكون هو في أزقة غرناطة متخفيا بين الظلال.. يناديها في كل خطوة يخطوها.

أين هي الملكة المسلمة التي رحلت ذات فجر!؟ فبرحيلها رحلت بهجة غرناطة.

أين هي الملكة المسلمة؟ التي كانت بالأمس تقسم لي بحبها فقد تركتني! يصيح الجني في غرناطة «أين هي العيون السوداء اللواتي سلبتني روحي!»

يقولون بإنه كي يستهويها ؛ «يحمل الجني في يديه خاتما من الذهب الخالص، وباقة من الزهور البيضاء».

صادفت أدراستيا كلمات تلك الأغنية الإسبانية وتذكرت عمارا، فلقد كان متأثرا بتاريخ وحضارة الأندلس.

خطر على بالها أن تبحث عن صفحة عمار على الفيس بوك؛ فهي لا تعرف عنه أي أخبار منذ أن هجرها ورحل خارج مصر.

ظلـت حوالـي سـاعتين كاملتيـن تجـول صفحـات الفيـس بحثـا عنه، حاولت كتابة اسمه بكل الطرق ولكن لا وجود له.

ثـم لمع اسـم صديقه فـي ذهنهـا فقـررت البحـث عنه لعلهـا تجد طريقـة تعـرف بهـا أيـن هـو عمـار الآن ؟ ثـم تسـاءلت هـل تـزوج عمار؟ لا بد أنه تزوج، ولكن كيف تبدو زوجته لا بد أنها جميلة!

اسـتطاعت الوصـول لصفحـة صديقـه المقـرب، وجـدت صورة عمـار في أحدى منشـوراته، ولكـن لفت نظرهـا أحـد التعليقات على الصورة: «البقاء لله وحده »! البقاء لله في من ؟

هنـا تذكـرت أدراسـتيا، آخر لقـاء جمـع بينها وبيـن عمـار؛ عندما أعطاها رسالة صغيرة، وطلب منها أن تفتحها بعد وصولها للمنزل:

حبيبتـي، اسـتمعي إلـى كلامـي. أعـدك بأن تجـدي بين سـطوري الـدواء. إنها تأتـي من روحي – جسـر أعبـر به إلـى قلبك. إنها شـيء يمكنـك الوثـوق به، يـا حبيبتـي. أنا آسـف جـدا للألـم الذي سـوف أسـببه؛ أعتقد أن جـزءًا من عقلـي يخبرني بـأن هذا هو الصـواب، لن تسـتطيعي الـرد، علـى تلـك الرسـالة «لأنـك لـن تسـتطيعي الوصول لي»، تأكـدي من أمان مشـاعري. أنـا أعلم أنـك تحملين الآن شـعور الخـذلان، لأنـك بحاجـة إلـى أكثـر مـن كلماتـي تلـك (تحتاجيـن وجـودي نفسـه). هـذه الرحلة التـي نسـميها الحيـاة، لقد جربـت بها كل الطـرق، دفعـت علـى كل بـاب. حتـى وجدتـك تقفيـن خلـف أحدهـا، تركـت الحـب يتدفـق مـن قلبـك. أخبريني أن الحـب ليس

محـدودًا، وأنـت علـى حـق، بالطبـع هـو كذلـك وأنـت مثلـه غيـر محـدودة. ومـع ذلـك، يمكـن أن يصيـب القلـب والـروح البشـرية الذبـول. فقـط عندمـا أكسـر أركـض إليـك، الشـخص الوحيـد الذي يمكـن أن يتقبـل غريزتـي. أنـت الشـخص الـذي ولـدت فيـه. أرى دواخلـك وأعـرف مـن أنـت حقـا. أرى الحـق في قلبـك، ومـا زلت أحبـك دون تحفـظ أو اعتبـار لتلـك القيـود الشـرقية. مـا أراه هـو الجمال تحت الأنقاض.

حينمـا تقوميـن بقـراءة رسـالتي، سـأكون فـي تلـك اللحظـة على متـن الطائـرة المسـافرة إلـى سـوريا. أحمـل علـى عاتقـي مهمـة هذا الوطن، أهلي، أصدقائي، جميع من فقدتهم في تلك الحرب.

أنت غاليتي ووردتي وكل شئ! انتظريني فأنا عائد.

كانـت تلك رسـالة الـوداع ومـن بعدها أختفـى عمـار، حتى ظنت أدراسـتيا أنـه هـرب منهـا، وقـام بتغير جميـع وسـائل التواصـل معها حتى لا تستطيع الوصول إليه.

شعرت أدراستيا بالهذيان!

مات عمار!

قطعـت شـرودها، حيـث تذكـرت الهـدف الأساسـي مـن وراء حياتهـا. قالت لنفسـها: لن أحـزن علـى عمار، سـأنتقل إلـى محطتي القادمـة مع شـهاب بـكل سـعادة؛ تذكـرت أنها قـد رمت هديـة عمار

لها في بحر الإسكندرية، لم تكن أدراستيا تلك المرأة التي تقدس الحب والذكريات.

فتحت القلادة نادت على أفروديت، يا ربة الجمال والجنس. نظرت حولها، لا شيء جديد سوى انقطاع التيار الكهربي!

وكأن هناك حلقة تم فقدها في المنتصف، فقد شعرت أنها نامت لأسابيع: فهي تجلس بجوار شهاب، الذي عرض عليها الزواج! لا تتذكر كيف وصلت إلى هذا المطعم، ولكنها أفاقت من شرودها على صوته، كان يسألها عن رأيها في «قضاء شهر العسل في شرم الشيخ».

نظرت له، ثم أخبرته بتلك الجملة التي قرأتها في إحدى المرات: «أتساءل دائمًا عن سبب بقاء الطيور في نفس المكان، عندما تتمكن من الطيران في أي مكان على الأرض. ثم أسأل نفسي السؤال نفسه!»، ثم وجهت إليه سؤالها: لماذا لا لا تجرب متعة السفر إلى أماكن لم تذهب إليها من قبل! أخبرته عن أمنيتها الصغيرة: «أريد أن أحلق في سماء سانتوريني!»

جزيرة سانتوريني المطلة على البحر الأبيض المتوسط، تلك الفردوس، والتي اطلقوا عليها لقب (تراتيل يونانيّة من أرض العالم المفقود)، لاعتبارها أيقونةً شعرية من شدّة روعتها وجمالها، تغنى بها الشعراء في قصائدهم منذ عهد أفلاطون حتى يومنا هذا.

حجز شـهاب لنا فـي فندق كانفـاس سـويتس، بإطلالاتـه البانورامية على البحر وكالديرا وبركان سانتوريني.

وصلنا إلى المطار، وبدأت رحلتنا في تلك الجزيرة بعدها.

لقد كانـت روحي تشـعر بالجـوع، ثقـوا بي، إنني أشـعر بالنشـوة. لقـد كنـت أبحـث طيلـة تلـك السـنوات، عـن طريقـة للعـودة إلـى اليونـان (إنهـا أرضي التـي أود أن ادفـن فيها، وأنـا إلهة تلـك الجزيرة الآن). لذلـك لا ترفـض أبدًا دعـوة أحدهـم للعشـاء، ولا تقـاوم أبدًا أي شيء غير مألوف، ولا تبعتد أبدًا عن المغامرة في السفر.

لاحظـت أن القلادة تتوهـج كلمـا تقدمنا فـي سـانتوريني، يقلقني شأنها كثيرا؛ فأنا لا أعلم كيف تعمل حتى الآن!

لـم تكـن روحـي وحدهـا التـي أصابهـا الجـوع، معدتـي كذلـك تعطيني جهاز إنذار.

ذهبـت أنا وشـهاب إلى مطعـم sphinx فـي منطقة فيـرا، المطعم له إطلالة سـاحرة علـى كالديرا سـانتورينى، ولحسـن الحظ أننـا وصلنا لحظـة الغـروب «فـكان المشـهد أشـبه بلوحـة فنـان فـي القـرون الميلاديـة الأولـى»، كان الجـو شـديد البـرودة، ولكنهـم أعطونـا أغطية للتدفئة.

طلبنا وجبة البابـو تيسـاكيا، والتي تعتبـر طبقا لذيذا مـن الباذنجان المحشـو باللحـم المفـروم، الـذي يقـدم مـع الجبـن وصـوص البشاميل وهي من الأكلات المغذية جدا عند اليونانيين هنا.

كان شـهاب يتنـاول الطعـام بالطريقـة التـي يقـوم بهـا مدمنـو الهيروين، كان يبدو عليه الاستمتاع بالطعام.

سـألني شـهاب: الجـروف شـديدة الانحـدار فـي تلـك الجزيرة، توحي بأن أمرا غير عادي حدث هنا!

بالفعـل شـهاب محـق، جزيـرة سـانتوريني هـي النصف الشـرقي الباقـي مـن بـركان ثـار فـي الماضـي، وهـذا البحـر هـو الميـاه التـي مـلأت فوَّهتـه، ليـس انتظـار مشـرق الشـمس مـن مغربهـا هـو الأمر المـروع الوحيـد الـذي تنتظـره البشـرية. فلقد عـاش أجـدادي عصر الظلام على هذة الأرض.

الانفجار فـي سـانتوريني امتدّ حتـى اوروبا، آسـيا، وإفريقيـا، كما أنه هدم الأبنية على بعد 150 كيلومترا.

وكنتيجـة معروفـة الرمـاد البركانـي الخانـق قـد حجـب ضـوء الشـمس عـن كامـل حـوض البحـر الأبيـض المتوسـط عـدة أيـام. ونتيجـة للكارثة، تلاشـى في الهـواء أو غـرق فـي البحـر 80 كيلومترا مربعا من الجزيرة. وماتت فيها كل أشكال الحياة.

بدأ شـهاب يفكر، ثم سـألني عن إذا مـا كانت أطلانتـس المفقودة هي بقية سانتوريني!

تدعم فرضية مـا أن أطلانتس مـا هـي إلا الحضارة المينويـة، التي ازدهـرت علـى الجـزر اليونانيـة وخاصة كريـت و ثيـرا (التـي تعرف

الآن باسم سانتوريني) منذ ما يقرب من 4000 عام. كانت الحضارة المينوية من أوائل الحضارات التي ظهرت فى أوروبا. حضارةٌ عظيمةٌ اهتمت ببناء المدنِ و القصور و تمهيد الطرق وكانوا أول من استخدم الكتابة في أوروبا قاطبةً، إلا أنهم اختفوا فجأةً على صفحات كتب التاريخ. لم يُعرف سببٌ مقنعٌ لاختفائهم سوى ما يتناقله المؤرخون أنه حوالي 1600 ق. م.، هز زلزالٌ عنيفٌ الجزيرة – البركانية – ثيرا، الأمر الذي أدى إلى انفجار بركان سانتوريني وبالتبعية 10 مليون طن من الصخور والرماد والغاز في الغلاف الجوي. وكانت موجات التسونامي التي تلت اندلاع البركان كبيرة بما يكفي للقضاء على المدن المينوية في جميع أنحاء المنطقة.

شعرت بتوهج القلادة مرة أخرى، ولاحظ شهاب الأمر هذة المرة أيضا ولكنه تجاهله.

***

الفصل السابع

Οπωλητήςκρασιού

بائـــع النبيـــذ

فـى إحـدى ليالـي امشـير الممطـرة، ومـع ارتفـاع صوتـي الرزيم والهزيـم للرعـد، كان يرتفـع صـوت أجـراس كنيسـة «آغيـوس ديمتريـوس» باليونـان؛ وكانـت تلـك الضوضـاء كفيلـة بـأن يسـتقيظ أهل تلـك المدينـة فزعـا وهلعا، كان المشـاة يسـرعون فـى الممرات ومنهم من تنزلق قدمه فيسقط.

بداخـل أحـد منـازل تلـك المدينـة، كانـت تسـتعد «يوليـا» للنوم بعد أن حكت لأبنتها الصغيرة إحدى قصص التراث الأوروبى.

قامـت بتبديل ملابسـها، ثم أمسـكت بأحـد الكتب «نفـي اللاهوت» مترجم مـن الفرنسـية، حدثـت يوليـا نفسـها، قائلـة إحـدى العبارات المقتبسـة: «عندمـا يعانـي شـخص مـن وهـم يسـمى ذلـك جنونـاً، وعندما يعاني مجموعة أشخاص من وهم يسمى ذلك ديناً».

قامـت يوليـا لتجهـز منشـوراتها التـى تدعـو فيهـا النـاس إلـى الإلحـاد، تسـتند فيها إلـى أشـهر الاقتباسـات الموجـودة فـى الكتب

الفلسفية، التى نجحت في إقناع الملايين بوهم الإله، ارتشفت القليل من كوب الكاكاو الساخن؛ ولكن سرعان ما شعرت يوليا بتغبيش فى الرؤية، وضعف في عضلات جسدها؛ لم تستطع الصراخ بسبب ذلك الثقل فى لسانها، انتهى الأمر بها مسجية على الأرض.

فتحت يوليا عينيها بصعوبة لتجد نفسها على سريرها، يلتف من حولها والدتها وابنتها الصغيرة «أدراستيا».

ها قد بلغت منها الرّوحُ أعلى الحلق، وهى تنظر حولها وقد لجم لسانها من هول ما ترى، وأهلها من حولها لا يستطيعون تخفيف آلامها أو ردَّ الروح إليها، ثم جاء ملك الموت فانْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ.

وجدت نفسها ترتفع رويداً رويداً تاركة جسدها المستلقي على السرير، بدأت رحلة التخلص من هذا الجسد المادي، ذلك المحراب والغطاء الذى كان جاثماً على الإنسان يلهيه بالغرائز والشهوات وقد يقود الإنسان إلى الكفر والعناد، ها هي الآن قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى من الدخول فى عالم البرزخ، يلتف من حولها ملائكة الموت.

قد لفظت يوليا أنفاسها الأخيرة تاركة خلفها صيحات من والدتها وصغيرتها، تاركة خلفها خطاياها التى تسببت فى إلحاد الكثيرين.

..أدراستيا، بقالك وقت قاعدة على السرير بتتأملي وفي حالة شرود غريبة، هيا الأوضة دى ليها ذكريات وحشة معاكى؟

..شهاب، فى كتاب مهم ماما كانت محتفظة بيه، ممكن لوسمحت تساعدني ندور عليه!

..كتاب أيه ؟

Malleus Maleficarum ..

مش فاهم بيتكلم عن أيه؟ ولا فاهم معنى الاسم!

مطرقة الساحرات ده ترجمة الاسم بالعربى.

بقولك أيه انا استحملت جنانك ده كثير، استحملت أسلوب تفكيرك وفهمك الثقيل، استحملت تخريفك فى موضوع مامتك أنا مكنتش متوقع أني هلاقيكى إنسانة مملة للدرجة دى.

ترك شهاب لها المنزل وخرج غاضبا، جلست أدراستيا على سرير والدتها وهنا شعرت بدوار شديد، حاولت التمسك وقامت وهى تتكئ على الحائط.

وصلت إلى غرفة المكتبة ودخلت، على الفور أضاءت الأنوار؛ لأنها شعرت بالخوف يجتاحها وهنا خيل إليها أنها سمعت أصوات تعذيب، لم تلتفت إليها ظلت تبحث عن الكتاب فى رفوف المكتبة ولكن بلا أمل!

فكـرت أن تواجـه خوفهـا للمـرة الثانيـة وتنـزل إلـى قبـو المنزل، ولكن قبـل القيام بتلـك الخطـوة، أفرغـت محتويات المكتبـة وألقت بها على الأرض، عزمت على حرق تلك الكتب ولكن ليس الآن.

أحضرت معهـا مجموعة مـن المصابيـح، ونزلت علـى درج القبو مـع كل درجـة كانـت تفقـد شـيئآ مـن عقلهـا، كانـت درجة الحـرارة تقـل حتى شـعرت بتلـك القشـعريرة مـرة أخرى، وفجـأة أضـاء القبو من حولها مرة واحدة.

حسـنا مـاذا لدينـا هنـا، مجموعـة مـن اللوحـات القديمـة والتـى تحـوي نسـاء عاريـات، سلسـلة كتـب «الماركيـز دى سـاد» فـى أحد الأركان، إحـدى الصـور المعلقـة علـى الحائـط «حفلـة زفـاف والديها»، ألعاب أدراستيا القديمة، وصندوق كبير الحجم نسبيا.

ابتسمت وشعرت أنها وجدت مرادها، فتحت الصندوق.

أخرجـت محتوياتـه والتـى كانـت تحـوي ملابـس قديمـة ذات رائحـة كريهـة، من بيـن تلك الملابـس وجـدت زجاجة صغيرة تشـبه الـدواء ومكتـوب عليهـا بضـع كلمـات باليونانيـة ترجمتهـا «خطـر لا تقترب»، شـعرت بتشـويش فى عقلها، ذلـك الشـعور اللعين الذى نشـعر بـه حينمـا نحـاول تذكـر الماضـى ولكـن بـلا فائـدة، حاولت تذكر أين رأت تلك الزجاجة ولكن عبثا.

ظلـت تسـب وتلعـن، خرجـت مـن القبـو بعـد أن أغلقـت الباب وراءها بقوة.

وجلست أمام التلفاز فى حالة شرود.

تذكرت أنها وحيدة باليونان، فكرت فى الاتصال بجدها، ولكنها خافت من رد فعله بعد أن رمته في دار العجزة.

أخذت أحد الكتيبات الموجودة والتى كانت تحوى أرقام أصدقاء ومعارف يوليا.

قررت محاولة التواصل، لم تعمل معها القلادة مرة أخرى بعد أن سحرت «أفروديت». شهابا.

أخذت عنوان سيدة تدعى «برجلجوت أركون» وذهبت إلى منزلها في الحال، قامت برن الجرس طويلا ولكن لا أحد يرد.

خرجت من أحد المنازل المجاورة، شابة عشرينية جميلة، أخبرت أدراستيا أن صاحبة المنزل قد توفيت فى حادث انفجار لطائرة منذ شهرين، ثم عرضت على أدراستيا الدخول؛ لتناول كوب قهوة والحديث معها.

ألفت أدراستيا سناريو من وحى خيالها، فأخبرتها أن والدتها قد تركت إحدى الأمانات لدى السيدة برجلجوت، وكانت تود أن تستردها، تفهمت الفتاة الأمر وأعطتها رقم تلك السيدة، ثم استأذنت من الفتاة وذهبت.

أخرجت المفكرة من حقيبتها، وشطبت اسم برجلجوت، ونظرت للاسم التالي «ماريو بطرس».

تذكـرت ذلـك الرجـل، والـذى كان مدمنـا للخمـر حـد الجنون، كان ينظـم حفـلات الجنـس والعربدة مـع يوليا، لـم يقف الحـد عنده إلـى مجـرد الإلحـاد، عندمـا كانـت أدراسـتيا طفلـة صغيـرة، كانـت تلاحـظ نظراتـه التـى تخترقها من رأسـها إلـى أخمص قدمهـا، ولكن نظرا لصغر سنها فلم تكن تدرك معناها فى ذلك الوقت.

حـاول التحـرش بها فـى إحـدى المـرات، كانـت والدتهـا ترتدي ملابسها بالدور العلوي.

رأتـه أدراسـتيا وهـو جالـس كان يدخـن الـ karelia، نـادى عليهـا فسـألها إذا كانـت ترغـب فـى اللعـب، وجدتـه يتحسـس المناطـق الحساسة فى جسدها، لم تدر حينها ما الذي يفعله.

ولكن لـم يكن هـذا التصـرف غريبـا على شـخص بقذراتـه، فلقد عـرف بفحشـه بيـن النـاس، كان يسـتدرج الفتيـات فـى عمـر «الـ 16 والـ 20 «إلى منزله، اكتشـفت أدراسـتيا لاحقا أنـه كان يقتلهن ويخفى جثثهـن فـي قبـو منزلـه، لقـد سـمعت هـذا الحديـث عـن طريـق المصادفة بينه وبين والدتها منذ زمن بعيد.

تذكـرت تلـك القصـة عندما كبـرت، ولكـن لـم تعلم مـاذا حدث له، وهل تم اكتشاف جرائمه أم لا ؟!.

بحثت عـن اسـمه علـى الفيس بـوك، وبعـد عنـاء بحـث وجدته، ولكـن مـا سـر تلـك المنشـورات!؟ اكتشـفت أدراسـتيا أنه قـد توفي هو الآخر منذ ثلاثة أعوام، مات محترقا بسبب حادث سيارة.

فتحت المفكرة مرة أخرى وجلبت بقية. الأسماء.

وتشاء الصدفة أنهم جميعا ليسوا على قيد الحياة.

عادت إلى المنزل في وقت متأخر من الليل، لم يكن شهاب قد عاد حتى تلك اللحظة.

وقفت أمام المرآة وبدأت تغير ملابسها، كانت تنظر لانعكاس جسدها، لاحظت تورم صدرها، و هذا الاحمرار فى ذراعيها، اقتربت من المرآة فلاحظت وجهها، والذي كان شبيها بجزيرة يغطيها الثلج، وعينان كأنهما خلقتا من زجاج.

قررت أن تدلل نفسها بدش طويل، أن تنفض ذلك الغبار الكثيف الذي يغطى أفكارها، أن تدع الفرصة لقطرات المياه لكي تتغلغل بين أنحاء جسدها، لكي تعيد لها قداسية ذلك الجسد.

شعرت بمرور الوقت أنها تستعيد نشاطها، وبأن الدماء بدأت فى السريان إلى ذلك الوجه الذي أصبح نحيلا من كثرة الحزن والانكسار.

جلست أدراستيا أمام المرآة، وبدأت فى وضع مساحيق التجميل، يمكن لمساحيق التجميل أن تخفي تلك الكتلة السوداء أسفل العينين، والتي تراكمت حتى أصبحت كسحابة السماء فى يوم ضبابي قبل هطول المطر، ويمكنها أيضا إخفاء تلك الحبوب المتناثرة فى أنحاء الوجه والتى انتشرت بسبب حساسيتها المفرطة

مـن الشـوكولا والتـى لا تكـف عـن تناولهـا، يمكـن أن تعطـي لونـا لامعـا ومغريـا لتلك الشـفاه التـى بهـت لونها وتحـول إلـى الأبيض، ويمكنهـا أيضـا أن تطيـل رموشـها التـى كانت تتسـاقط مـع كل دمعة حزن على والدتها.

كانـت تسـتخدم أفضـل أنـواع المسـاحيق لكـي تعيـد بريـق أفروديـت مـن جديـد، ولكـن مازالـت نظـرة الحـزن فـى عينيهـا كما كانـت، حسـنا لا بـأس باسـتخدام القليل مـن الكحـل؛ لتعـود عيناها كالحوراء من جديد.

بعد تلك الجولة استاطعت أن ترضى عن نفسها أمام المرآة.

الساعة الآن الرابعة فجرا ولم يعد شهاب حتى الآن.

فتحت إحـدى نوافـذ المنزل، ووقفـت لتنظـر إلى الشـارع الممتد أمامهـا، لامـس الهـواء البـارد وجههـا السـاخن وبـدأ يتسـلل إلـى جسـدها حتـى شـعرت بالسـعال، شـعرت بـأن هنـاك مـن يتجـه إلى منزلهـا تحـت ضـوء النجـوم، بـدا الجـو غريبـا وكأن هنـاك مـن كان ينتظـر لحظـة فتحهـا للنافـذة، شـعرت بعطـر باهـت يمـلأ الغرفة من حولهـا، نظـرت حولهـا بتركيـز لعـل شـهابا قـد عـاد ولكـن لا أحد، عـادت وراحـت تنقـل بصرهـا فـى أنحـاء الشـارع الممتـد أمامهـا لمحـت ظلا ولكـن سـرعان ما اختفـى فـى أحـد الممـرات الجانبية، أغلقت النافذة بعدما شعرت بالملل.

»هـل انـا سـعيدة «؟ وجهـت هـذا السـؤال بصـوت عالـي وكأنها تنتظـر الـرد مـن الجـدران، ولكـن تلـك النفـس الغبيـة الكامنـة فـى

عقلها الباطن والتي تثرثر طيلة الوقت والتي ردت عليها «أنت لست هنا في اليونان من أجل سعادتك، لقد جئتِ لإنقاذ والدتك».

نظرت إلى اللاب توب الخاص بشهاب، وقررت فتحه حتى تستطيع التغلب على مرور الوقت، ولكنها عجزت عن فتحه فهى لا تعرف كلمة المرور، فكرت قليلا ثم كتبت «adrastia» محاولة خاطئة، كتبت تاريخ ميلاده، اسمه، ظلت تحاول بأكثر من طريقة ولكن المحاولات جميعها خاطئة.

وفجأة خطر على بالها أن تكتب فى ذلك المربع «Nourhan»، محاولة صحيحة! صاحت بتعجب، ولكن سرعان ما تردد صدى صوت جدها عندما أخبرها «معظم الرجال لو عاد بهم الزمن ليكرروا تجربتهم الأولى فى الزواج، لاختاروا زوجاتهم القديمة بدون تردد».

ظلت تفتش حينما تفاجأت بصور ميسون! زميلتها التي انتحرت «فكرت قليلا، ثم راحت تفتش حتى وجدت حل اللغز «رسائل ميسون»، قرأتها جميعها ثم شعرت بالدوار، تذكرت كلمات «نقفور» فتش عن الصيدلي!.

استطاع أن يحقن شهاب تلك الفتاة المسكينة، وكدكتور في علم السموم، استطاع أن يحسن اختياره لتلك المادة، التي لا يظهر أثرها في التشريح!

أغلقت جهاز اللاب توب، كان الحقد يغلى فى صدرها، لم تتمالك نفسها.. فخرجت من الغرفة تتلمس طريقها إلى السرير؛ حيث ارتمت عليه ودفنت رأسها تحت الغطاء.

«إن مقياس عمق سقطة جسم ما تقاس بالمسافة بين مكان سقطته والمكان الذى سقط منه». وهذة النظرية تنطبق على ما يحدث لأدراستيا، لقد كان السقوط من ارتفاع شاهق؛ راهنت على ثقتها بشهاب، ولكن لحظة يبدو أن الأمر لا يتوقف عند الخيانة فقط!.

«حبوب منع الحمل بحقيبة ميسون، علاقة مع شهاب، انتحار ميسون، أنبوبة الاختبار، سم «الاستركنين»، موت البومة»، لا يظهر أي أثر للسم فى تشريح الجسد، منشور على الفيس بوك.

دخل عليها شهاب يترنح في مشيته يمنة ويسرة،عيونه حمراء وجفونه تميل إلى السواد، ويغني بصوت عالي. لم تتحدث أدراستيا معه وتركته ينام.

نظرت إليه وهو نائم محدثة نفسها: كيف لم ألاحظ أن ملامح الشيطان تكسو وجهه، كم هو قبيح عندما أظهرته لي ترتيبات القدر، أشعر بأن له قلبا ملفوفا بخيوط العنكبوت.

في اليوم التالي استيقظ شهاب، واستغل نوم زوجته وخرج مرة أخرى

ظلت ادراستيا نائمة حتى الساعة الحادية عشرة مساء، ثم فتحت عينيها تنظر حولها محاولة التركيز.

قامت بعدها لتبدأ يومها وتقوم بإنجاز الهدف الذي سافرت من أجله وهو «إنقاذ والدتها» من عذاب إلهة. الإغريق.

تذكرت كتب والدتها التي يتوجب عليها القيام بحرقها، حملت المجلدات الضخمة، والكتب التي تشبه رائحتها رائحة موت الحيوانات، وقفت في حديقة المنزل بعد أن بدأت بإشعال النيران التي أخذت تلتهم الكتب.

ذكرها مشهد النار بأجساد الموتى، تخيلت أدراستيا للحظة ما الذي يحدث مع والدتها في باندیمونیا.

تساءلت ما الذي سوف يحدث إذا أعطى الله والدتها فرصة جديدة؟ دخلت المنزل بعد أن شعرت بالاختناق من رائحة الكتب المحترقة.

كانت تشرب كوب القهوة حين سمعت إحدى أغنيات داليدا تخرج من صندوق الموسيقى الذي فتح من تلقاء نفسه، كم يشعرها صوت داليدا تحديدا بالخوف والاضطراب ربما بسبب نهايتها المأساوية، الصوت يعلو شيئا فشيئا حاولت إطفاءه ولكن لا فائدة، أمسكت بإحدى المطارق وظلت تضرب الصندوق حتى انكسر ولكن ظل صوت داليدا يخرج بنغمة أقل.

حينها لاحظت ظلا يمر من أمام غرفتها، بدا كأنه امرأة خارقة الجمال من خلال انعكاس ظلها على الحائط والذي يظهر طول شعرها.

انتفضت أدراستيا من مكانها وقد تضاءل شعور الخوف بداخلها أصبحت لا تهاب شيئا؛ قررت أن تتبع فضولها ظلت تجري وراء هذا الظل حتى وجدت نفسها خارج المنزل.

لاحظت أن القمر يبدو كوجه امرأة خرجت لتوها من القبر كان يبدو مخيفا الليلة، رأت انعكاس الظل من جديد وظلت تتبعه أينما يدخل.

لاحظت أنه كلما تقدمت خطوة يقل عدد الناس من حولها، حتى وصلت إلى مكان من المدينة يشبه الصريم وهو خاوي على عروشه.

ظلت تتبعها حتى وصلت إلى المقابر، نظرت إلى اللافتة الخارجية والتي كان يكسوها الثلج حاولت إزالته حتى ظهر لها اسم المقابر.

هي تقف الآن أمام مقابر اليهود، تجمدت في مكانها لعدة لحظات؛ محاولة أن تستدل على مكان وجود المرأة من خلال القمر الذي أصبح كالعرجون القديم.

حتى وجدتها تقف في نهاية صف المقابر، هنا تحلت بالشجاعة التي جعلتها تلحق بها حتى وصلت إلى المقبرة التي تقف عندها المرأة ولكنها اختفت فور مجيء أدراستيا.

ابتسمت قائلة لنفسها لقد توقعت هروبك أيتها الجنية الحسناء.

نظرت باهتمام الي المقابر من حولها ونعيق الغربان يرتفع، وجدت ثوبا أسود كبير يغطي المقبرة التي تقف أمامها، صوت داخلي يحدثها أن تتفحصها، أزاحته حتى لمعت أمامها لافتة صغيرة لم يكن الاسم المنقوش غريبا عليها «يوليا مزراحي «!

إذا فهي تقف الآن أمام لحد والدتها، لاحظت أن اللحد المجاور لها يرقد فيه «ماريو بطرس» تعجبت أنه تم دفنه بجوار والدتها في مقابر اليهود، فلقد كان يطالب كثيرا بحرق جسده بعد أن يموت، كانت أزهار الكادابول تغطي اللحدين، انتشرت أوراقها الذابلة وأصبحت تتطاير من شدة الرياح، لاحظت أيضا وجود كتب ضخمة وراء القبر.

تناولتها بفضول شديد حدثت نفسها: «غريب جدا الكتب بلا عناوين، الأوراق فارغة لا أثر للكلمات».

شعرت بصوت أنفاس ثقيلة خلفها، رائحة مألوفة اخترقت أنفها، استدارت لتجد رجلا ضخم البنية يضع نظارة سوداء على عينيه أمسكها بقوة، ثم قام بتكتيفها، حملها وجعل جسدها يستلقي على أمتداد طول القبر، حاولت الصراخ ولكنه لطمها على وجهها وظل يردد كلمات باللغة اليونانية.

نبرة صوته مألوفة، قالتها وصوتها يرتعش: ماريو؟ ولكن؟

خلع نظارتـه ثم أجابهـا بهدوء شـديد «لا تقلقي أنا لسـت شـبحا، فالواقع أنا لم أمت ياعزيزتي كما يعتقد الكثير».

لقـد تم اكتشـاف أمري لـدى الشـرطة اليونانيـة وعلمـوا جرائمي، وبتدبير حيلـة صغيرة مع أحـد اصدقائي الروسـيين اسـتطعنا أن نوهم النـاس بموتـي، ولكـن لا عليـكِ فهـي قصـة ليـس لهـا أدنـى أهميـة ولكن أخبريني «هل أنتِ مستعدة للموت؟»

لا تقلقـي لـن تشـعري بـأي ألـم، هـل لاحظـتِ تلـك الكتـب؟ تظنينهـا فارغـة أليس كذلـك؟ ولكنهـا مليئة بـآلاف الكلمـات لقد تم كتابتها بنوعية حبر سري منذ عدة قرون.

هل تعلمين أين هي «يوليا» الآن؟

حسنا إنها تقيم في «باندیمونیوم» عاصمة الجحيم لو تدرين.

ولكـن أنـا أعلـم مـدى شـعورك بالقلـق عليهـا، ولكـن لا عليـكِ فهناك طريقـة لإعادتهـا مرة أخـرى، عن طريـق الكتاب الذي أمسـك به فـي يسـاري وبتكـرار كلمـات معينـة يمكننا أن نرسـلك بـدلا منها لتتعذبـي فـي الجحيـم، كمـا تعلميـن لا يوجد شـئ يعـود بـلا مقابل تسـلل إليها أحـد الشـياطين أثناء تعذيبهـا أخبرهـا أن القربـان الوحيد الذي سيشفع لها هو «ابنتك».

ولقـد فرحت يوليـا بهـذا الخبر كثيـرا، فأنـتِ تعلمين كـم كرهتكِ بعدما قمتِ بإيذائها وتسببتِ في موتها.

سألته بتعجب «كيف أن تقتل فتاة والدتها وهي بعمر الثمان سنوات»؟.

لا ترتبكي يا حوريتي الحمراء، عندما كنت صغيرة كانت برجلجوت تود الانتقام من والدتك بسبب أنها خطفت زوجها وكانت سببا فى فراقهما، حينها استغلتكِ الحرباء وجعلتك تتعلقين بها يا حوريتي ولكني أرغب فى استعادة يوليا فلا مانع بأن نضحي بكِ.

سألته بعدم فهم ماذا يقصد؟

انظري ياعزيزتي لقد أعطتكِ برجلجوت علبة تشبه الدواء، بداخل العلبة أحد السموم المميتة، والتي قمتِ بوضعها لوالدتك في مشروب الكاكو وتسببتِ بموتها.

صمتت عدة دقائق، تحاول أن تسترجع الشريط إلى أن اكتملت أمامها الصورة وتذكرت كل شيء.

لا تعلم أين اختفى هذا الجزء من ذاكرتها ولمَ لم تتذكره طيلة السنوات بعدها.

بدأ ماريو بقراءة الكتاب وأدراستيا تصرخ محاولة اسكاته، اجتمع سرب من طائر الغراب حولهما، الدخان الأحمر يملأ المكان، روح أدراستيا تخرج تدريجيا من جسدها حتى وصولها للحلقوم

على الجانب الأخر يوليا جالسة فى الجحيم، ينادي عليها أحد الشياطين خلسة ويقوم بتهربيها بعيدا عن أعين الملائكة.

وصلت روح يوليا إلى جسد أدراستيا المستلقي أمام قبرها، وهنا قامت بإلقاء روحها إلى داخل باندیمونیوم.

***

الفصل الثامن

Εξορκισμός

طرد الأرواح الشريرة

الطريق عند قدمي يتلاشى لأنه يؤدي إلى الظلام في هذا الممر شديد الضيق، ولكن علي أن أتبعه فلا يوجد سوى حائط شديد السواد من ورائي؛ في مكان ما توجد الإجابات التي أحتاجها، ولكن ما هي تلك الرائحة التي تخترق أنفي!؟ إنها تشبه رائحة تحلل أجساد الحيوانات بعد موتها. تركت يدي تلامس الحائط وتتحسسه أثناء سيرها، شعرت بأن أرواحهم الملعونة تحاول التواصل معي.

لأن هذا هو عالمهم: عالم القبور، لا أصدق أن حياتي انطوت بتلك السهولة على يد ماريو، ولا أعلم أيضا ما الذي ينتظرني في هذا القبر شديد الضيق.

لماذا لا يخترق القمر تلك الطبقات الترابية لينير لي الطريق، سأستمر بالمشي لا بد لي من الخروج من هنا بسرعة.

مـن يـدري أنـه بعـد أضـواء المدينـة التـي لا تنتهـي أبـدًا أن يتـم إلقائي فـي مـكان يشـبه لبـاس الثكالـى وأكـون عميـاء تقريبًـا، جعل الطمـي فـي الأرض والأوراق المتحللـة الهـواء يبـدو ثقيـلا. أعطاها السـواد شـعوراً برهـاب الخـوف ولكـن يبـدو أنهـا وجـدت ضالتهـا أخيرا.

بوابـة كبيـرة لا تعلـم مـن أيـن ظهـرت ممتلئـة بالغبـار الذهبـي ونبـات السـنيفيريا، لـم تكـن تعلـم أن تلك هـي بوابـة الجحيـم وأنها سـتكون فريسـة للحزن بلا نهاية ؛ حاولت فتحه بشـتى الطـرق ولكن يبدو أنه مغلق من الداخل.

لمعت فكـرة مـا فـي ذهنهـا وهـي أن تطـرق البـاب، المرعب في الأمر أنه قد فتح لها بمجرد أن طرقته أول مرة!

وجـدت نفسـها فـي غرفـة وبمجـرد دخولهـا رأت تلـك المائـدة الكبيـرة التـي تحتـوي علـى العديـد مـن الكـؤوس مختلفـة الألـوان وبداخـل كل كأس نوع شـراب مختلـف «دم، حليب، أقحـوان، لحم متعفن»، الغريب هـو تلك الأسـماء المحفورة علـى كل كأس «يوليا، شـهاب، ماريـا، نقفـور، عمـار، خريسـتي» يبـدو أنهـا تحمل أسـماء جميـع مـن عرفتهـم فـي حياتها. خـلاف ذلـك، لـم يكن هناك شـيء يمكـن رؤيتـه، كانـت الأرضيـة سـوداء علـى كل بلاطـة منهـا رسـمة غريبـة الشـكل لكائنـات قبيحـة، كانـت عطشـانة. لدرجـة أن حلقهـا محترق وكانـت مقلتهـا جافة جـدًا. ومـع ذلك، لـم يكن هناك شـيء

للشرب إلا تلك الكؤوس، لفت نظرها المرآة الموجودة أمامها اقتربت منها فوجدت كلمات كما لو أنها كتبت بقطرات الدم:

«لم يكن الجحيم لتلك الخطايا العادية التي يقوم بها البشر لم يكن للمرضى العقليين أو لأصحاب المعاناة والحزن وعدم الفهم في التميز بين الصواب والخطأ. كان الجحيم مخصصًا لأولئك الذين عرفوا أن أفعالهم كانت خاطئة وقاموا بها بغض النظر عن ذلك، واستمتعوا بآلام الآخرين؛ الجحيم هو مكان العقوبة الذي تتلذذ فيه الوحوش بالغذاء على آلام العصاة والمتمردين، هؤلاء الذين عاشوا متع الحياة من زنى وخمر وعري وفعل للفاحشة، إنهم يعرضون الآن لمحكمة تفوق محكمة الضمير ومحكمة الدنيا، فهنا جميع أعمالك ستراها تتمثل أمامك كالشبح الأسود في ليلة غاب عنها القمر في كوكب شديد البرودة أو ربما شديد الحر لدرجة الانصهار، هنا ستقابل جميع من رحلوا وهم يصطفون أمامك ليأخذوا منك الحق، ستجد من يقتلع عينك ويسحقها لأنك نظرت إلى أمرأته، ستجد من يشد لسانك ويقطعه بسيف شديد الحدة لأنك اغتبته أو أفشيت سره، وهناك ستقابل بشرا ربما تراهم لأول مرة: هؤلاء من قمت بإيذائهم ولم تلتفت يوما إليهم؛ سيرقصون فرحا ونشوة على شعورك بالألم ولكن لن يتوقف الأمر عند مجرد الشعور بفقد عضو من أعضائك؛ الجحيم لم يبدأ بعد وهو جحيم ندمك على أفعالك».

شعرت بالذعر عندما وجدت اعكاس صورتها فقط بالمرآة وكأن المائدة والكاسات لا وجود لهم إلا داخل رأسها.

هناك طريقة واحدة للتأكد من حقيقة ما تراه، وضعت يدها على المائدة ولكنها أفلتتها في ذات اللحظة؛ تبدو وكأنها صنعت من نيران البراكين، أمسكت بعدها بإحدى الكأسات وكان هذا الكأس صاحب الحليب مكتوب عليه اسم «أغنيس» لقب جدتها المتوفاة.

بدأت بالشرب ولكنها وجدت نفسها ترقص في مكانها وتبصق في كل مكان حولها؛ وكأنها تبتلع سائلا يحوي الكثير من الحشرات التي ظلت تتحرك في فمها.

جلست على الأرض بشيء من الضعف والاستسلام، وأدركت أن ما تراه ليس إلا السطر الأول في مجلد ضخم رائحته تنفرك من الاقتراب منه لأنه يحوي خطايا العصاة.

«فلتحترقي يا روحي في جحيم الرب، لماذا الخوف!؟ عليك الشعور بالفخر لأن حفلة القصاص ستبدأ قريبا، سيأخذ كل ذي حقا حقه. لو أن عقلي الغبي تخيل ولو للحظة واحدة رحلته إلى الهاوية ؛ الرحلة التي تتكون من ست طبقات حتى نصل إليها. هل سيتألم بدني فقط وتأكل النيران لحمي دون عظمي في سقر!؟ وماذا عن الهبوط بعدها إلى الحطمة التي ستحرق فؤادي وتهشم عظمي وتجعلني أبكي حتى تنفذ دموعي، وحينها سأبكي

دما ولكنه سينفذ حتى يتبقى لي القيح فينفذ هو الآخر؛ وفي كل درك من هؤلاء سيسمع الرب صراخي وأنا أترجاه بالرحمة سأحاول أن أذكر له لين قلبي لعله يشفع عنده ولكن كيف يشفع لين القلب عندك وهو لا يؤمن بك!؟ سأحاول الهرب وبعدها سأنجح في فتح بوابة الحطمة ولكني سأقابل حراسها وهم رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض وفي أيديهم مقامعٌ من حديدٍ كالشعبة التي لها رأسان، سيعيدونني بالمقامع إليها، لأستمر في عذابها، سأجد الباب يفتح لي بعدها فأظن أنني ناجية ولكن الحقيقة أن رئيسهم مالك يود أن يصطحبني إلى الدرك الأسفل منه ليجعلني أتساءل هل أنا ذاهبة إلى السعير، فيذكرني أنه مازال هناك دركا يسبقه وهو درك الجحيم؛ وبعدها سيكون عذابي في السعير هو الأشد والأكثر ألما. سيأتي الحراس ليذهبوا بنا إلى تلك الأرض سأرى أمامي ثلاثمائة قصر في كل قصر ثلاثمائة بيت وفي كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب وفيه حيات وعقارب وقيود وسلاسل وأغلال، وفيه باب الحزن».

توقفي يا أدراستيا عما تفعلينه بنفسك «هكذا حدثت نفسها» توقفي عن التفكير في عذاب الجحيم ودركاته لن تأكل النيران جسدك.

سمعت صوت موسيقى صاخبة صادرة من مكان ما قريب منها، شعرت أن في هذا الطريق خلاصها لطالما كانت الموسيقى

فـي نظرهـا هـي وجـه الخيـر؛ شـعرت ببارقـة أمـل أن الرب سـيعفو عنها وأنها ذاهبة إلى فردوسه.

ظلت تتبـع الصـوت وتدخل فـي الممـرات الضيقة حتـى وصلت إلى!

ماهذا يا إلهي يا ليتني لم أر الحياة يوما!!

***

الفصل التاسع

Μαριονέτα

ماريونت

«عندما تضعين الوشاح والوردة خلف الأذن، السيجارة في اليد تدلفين إلى باحات الرقص. بورك هذا الجمال وهذا الفستان، كعبك العالي تمشين عليه وتهتز الأرض معك؛ غجرية يا جميلتي».

كانت تداعبها كلمات تلك الأغنية بلهجتها اليونانية، فتحت عينيها بصعوبة ولكنها أغمضتهما ثانية.

في تلك اللحظة، ارتفع صوت الموسيقى عاليا إلى حد الصخب والإزعاج؛ كانت تنظر بنصف عين مفتوحة حولها.

إنها لا تشعر بالبرد، على الرغم من قوة العواصف والأمطار خارجا؛ ربما يعود الفضل إلى تلك المدخنة الضخمة.

لمحت الجرامافون، وخمنت أنه المسئول عن تلك النغمة المزعجة.

ولكـن يبـدو أنهـا ليسـت وحيـدة فـي الغرفـة، هـي لا تـدري في الواقع أين هي!

آخـر ما تتذكره هـو تلـك المتاهة السـوداء، و عمـار المحبوس في تلـك الشـجرة، شـعرت أنهـا عـادت للحيـاة ولكـن تسـاءلت «أيـن ذهبت والدتها»؟ هل عادت مرة أخرى للجحيم ؟

ركزت بصرها إلى ذلك الرجل، الذي يجلس على الكرسي الهزاز.

نادتـه بلهجتهـا اليونانيـة، ولكنـه لم يـرد عليهـا؛ فكررت السـؤال بعـدة لهجـات أخـرى (إيطاليـة، فرنسـية، انجليزيـة) حتـى وصلـت للعربية.

«سيدي، هل تفهم اللغة العربية ؟!»

هنا ارتفـع صـوت الرجل بالضحـك، شـعرت بأن تلـك الضحكة مألوفة كثيرا لديها.

»جـدي! «قالتهـا بمزيـد مـن الدهشـة! ليـرد قائـلا «نعـم»! ولكن أيـن أنـا!، وكيـف جئـت إلـى هنـا! ظلـت تحـدث نفسـها، ليقاطـع حيرتها قائلا «و لكن أين كنتِ».

لقـد كنـت فـي عالـم الأمـوات، قتلنـي ماريـو وأرسـلني للجحيم بدلا من والدتي!

«أمـوات وجحيـم! ونجـوتِ بسـبب تلـك المـرآة التـي تواصلتِ فيهـا مـع عمـار» تعجبـت كيف عـرف أنهـا كانت تحـدث عمـارا من خلال مرآة سحرية!

شعرت بتشويش داخل رأسها، ثم نظرت إليه متسائلة «كيف جاء إلى اليونان، ومتى خرج من دار «العجزة»!؟

ليرد عليها ضاحكا بأنهم بمصر وليس اليونان!

تفحصت جسدها وملابسها، حتى وصلت إلى تلك القلادة الذهبية التي تعلقها؛ فتحتها ولكنها كانت فارغة!

نظرت لجدها متسائلة: هل هو من أفرغ الأوراق الصغيرة منها، انتقاما لما فعلته! أم ماذا!

سألته بصوت مبحوح «متى جاءت من اليونان» ليجيبها في نفس الدقيقة «منذ حوالي 12 عاما» لقد جئت من هناك عندما كنتِ طفلة بالثامنة.

نظرت إليه وهي لا تفهمه؛ فأجابها بسرعة «أنتِ لم تغادري مصر من الأساس، كل الأحداث التي مرت عليكِ لم تكن سوى خدعة قام بها عقلك الباطن، بالاتفاق مع العجوز الشرير».

نظرت له بعدم فهم مرة أخرى!

«منذ حوالي أكثر من ثلاثين عاما، كنت أمارس عملي كطبيب جراح قبل أن أتجه إلى دراسة التاريخ والميثولوجيا، ابتعدت عن الطب بسبب ميولي غير العادية في تجربة أنواع التخدير على مرضاي».

«لم يغلبني ضعفي، عندما تركتني أتألم في دار العجزة؛ وبدلا من ذلك استطعت الخروج والعودة مرة أخرى إلى المنزل. كنت أود معرفة السر، وراء ما فعلتِه بي.

بحثت طويلا في كتبي القديمة، حتى توصلت إلى هذا الشقي الصغير «ثيوبنتال الصوديوم» مادة تعمل على خفض السرعة التي يرسل بها الجسم الرسائل من الحبل الشوكي إلى الدماغ، مما يجعل من الصعب تنفيذ المهام عالية الأداء».

«قمت بحقن وريدك، بتلك المادة ولكن يبدو أن الأمر، قد تطور إلى الحد الذي جعلك تذهبين في تلك المتاهة، لقد كانت تلك مسرحية ألفها ضميرك، وأخرجها عقلك الباطن؛ محكمة ثواب وعقاب على جميع أفعالك».

«إذن أنت من قتل «يوليا»؟»

لقد كنت طفلة، لعبت برجلجوت بعقلي الصغير.

هذا الجزء غير صادق، لقد قتلتِها وأنت مدركة لذلك! ولكن لا لوم عليكِ.

لا أفهمك!

سأحكي لك، عندما كنتِ صغيرة؛ أخبرتني بذكرياتك مع والدتك دعينا نبدأ.

أخذتكِ يوليا معها إلى مسرحية «قرابين الخمر»، لقد كنت طفلة حينها.

تلك المرحلة العمرية من نمو الأطفال. الفتيات يركزن فيها على افتقارهن إلى القضيب، يعتقدن أن الذكر له الأفضلية.

وفي تطور الحالة النفسية للفتاة، تكون في البداية مرتبطة بأمها حتى تدرك أنها لا تملك قضيبًا. هذا يجعلها تستاء من والدتها بسبب «إخصائها» - وهو موقف يشير إليه عالم النفس فرويد باسم «حسد القضيب». ولهذا السبب، فإنها تنجذب إلى والدها.

تزداد مشاعر تعلق الفتاة بأبيها، وتشعر بالرغبة في تملكه؛ فتبدأ بمحاولة لفت انتباهه «لتسرق اهتمامه».

وهذا ما كنت تفعلينه في طفولتك، ولكنك وجدت غريمتك «والدتك». حاولت تقليدها في كل تصرفاتها: مشيتها، ملابسها ولكنك فشلت.

إلى حين تلك اللحظة، التي تصيدت فيها خيانتها لوالدك؛ استطعت أن تقتليها «ارتشفت القليل من كوب الكاكاو الساخن؛ ولكن سرعان ما شعرت يوليا بتغبيش فى الرؤية، وضعف فى عضلات جسدها؛ لم تستطع الصراخ بسبب ذلك الثقل فى لسانها، انتهى الأمر بها مسجاة على الأرض.

فتحت يوليا عينيها بصعوبة لتجد نفسها على سريرها، يلتف من حولها والدتها وابنتها الصغيرة «أدراستيا».

يجب أن تتحلي بالشجاعة فأنت حفيدة أليكترا تمتلكين تلك العقدة، رغبت في الانتقام من والدتك بقتلها بسبب غيرتك الشديدة على والدك ولأنك تعلمين خيانتها له.

إلكترا التي أرادت من أخيها أن يثأر لموت أبيها أغاميمنون، وذلك بقتل أمّهما كليتمنسترا، وذلك لأنّها شاركت في قتل زوجها، والد إلكترا.

في عقدة إلكترا، تقترب البنت من أبيها وينتابها شعور غيرة تجاه أمها لأنها تراها عقبةً تقف أمامها في طريق الاستحواذ على أبيها. وتحاول الفتاة إبعادها ولكنها لا تقدر ومن هنا يأتي تمثل الطفلة بأمها واكتساب عاداتها وأفكارها وسلوكياتها

***

الفصل العاشر

Οπατέρας μου

دادي

هل تذكر المرة الأولى التي تعلمت فيها ركوب الدراجة؟ إنها واحدة من أروع ذكرياتي، التي مررت بها مع أبي. ربما لم تلاحظ ذلك، ولكن ابتسامة أبي المشرقة في ذلك اليوم توضح مدى فخره برؤيتي، وأنا أتعلم أتغلب على خوفي، وأتعلم الثقة بنفسي.

أكره النظر إلى سماء الليل، لأن القدر أزال عني ألمع تلك النجوم «افتقدك».

قاطع الجد دموعها بالسؤال عن أوراق الأليمبوس الإثني عشر فالقلادة فارغة، تعجبت من سؤاله ونظرت إليه ثم قالتها بتعجب ألم تأخذها مني في لحظات غيابي عن الوعي ليجيبها بالنفي.

شعر الجد بالقلق فتلك الأوراق هي مهزلة على الجنس البشري إذا وقعت في الأيدي الخاطئة.

...To be continued

يتبع....

الفهـــــرس

المقدمة 3

الفصل الأول: Νεράιδα 9

الفصـــل الثانـــي: Νοσταλγία نوستالجيا 19

الفصل الثالث: ΟΔίας زيوس 29

الفصل الرابع: Θάνατος الموت 49

الفصل الخامس: Αγάπη عشق 59

الفصل السادس: Σαντορίνη سانتوريني 97

الفصل السابع: Οπωλητήςκρασιού بائع النبيذ 107

الفصل الثامن: Εξορκισμός طرد الأرواح الشريرة 123

الفصل التاسع: Μαριονέτα ماريونت 129

الفصل العاشر: Οπατέραςμου دادي 135

السّعيد
للنشر والتوزيع